تعليقات الشيخ صالح بن عبدالله العُصَيْمِي

على كشف الشبهات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعْلَمْ – رَحِمَكَ اللهُ – أَنَّ التَّوحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ الله سبحانه وتعالى بِالعِبَادَةِ ، وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الَّذِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلى عِبَادِهِ .

فَأَوَّلُهُمْ : نَوحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلى قَوْمِهِ لَـمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ : وَدٍّ ، وَسُوَاعٍ ، وَيَغُوث ، وَيَعُوقَ ، وَنَسْرٍ .

وَآخِرُ الرُّسُلِ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَهُوَ الَّذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلاَءِ الصَّالِحِينَ ، أَرْسَلَهُ اللهُ إِلى أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ وَيَحُجُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَذْكُرُونَ اللهَ كَثِيراً ، وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ المخْلُوقِينَ وَسَائِطَ بَيْنَهُم وبَيْنَ الله عزوجل ، يَقُولُونَ : نُرِيدُ مِنْهُمُ التَّقَرُّبَ إِلى اللهِ تَعَالَى ، ونُرِيدُ شَفَاعَتَهُم عِنْدَهُ ، مِثْل المَلائكةِ وعِيسَى وَمَرْيَمَ وأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّالِحِينَ .

فَبَعَثَ اللهُ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دِينَهُمَ ؛ دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ ، ويُخْبِرُهُمْ أَنَّ هذا التَّقَرُّبَ والاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ تَعَالَى ، لا يَصْلُحُ مِنْهُ شيءٌ لِغَيْرِهِ ، لاَ لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولاَ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمَا .

وَإِلاَّ فَهَؤُلاَءِ الـمُشْرِكُونَ الَّذِيْنَ قَاتَلَهُمْ رسُولُ الله ﷺ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الخالِقُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّهُ لاَ يَرْزُقُ إِلاَّ هُوَ ، وَلاَ يُحْيِي ولاَ يُمِيتُ إِلاَّ هُوَ ، ولاَ يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلاَّ هُوَ ، وَأَنَّ جَمِيعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، والأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَنْ فِيهِنَّ ؛ كُلُّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ .

📌ابتدأ المصنف رحمه الله كتابه بالبسملة مقتصراً عليها اتّباعاً للوارد في السُّنة النبوية في مكاتباته ورسائله ﷺ إلى الملوك ، والتصانيف تجري مجراها .

💎ثم بينَّ حقيقة التوحيد فقال : اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ التَّوحِيدَ هُوَ إِفْرَادُ الله (بِالعِبَادَة)

✅ والتوحيد له في الشرع معنيان :

1️⃣ أحدهما : معنى عام ، وهو إفراد الله بحقه

🔷وحق الله نوعان : 🔷 أحدهما : حق في المعرفة والإثبات . 🔷 والآخر : وحق في الإرادة والطلب .

👈 وينشأ من هذين الحقينْ أن الواجب علينا في توحيده ثلاثة أنواع :

🔶 توحيد الربوبية . 🔶 وتوحيد الألوهية . 🔶 وتوحيد الأسماء والصفات .

2️⃣ والآخر معنى خاص ؛ وهو إفراد الله بالعبادة . 👈وهذا المعنى هو المراد في خطاب الشرع عند الإطلاق ، ولذلك اقتصر عليه المصنف في بيان حقيقة التوحيد فقال (هُوَ إِفْرَادُ الله بِالعِبَادَةِ) اعتداداً بمعهود الشرع فيما يريده من هذه الكلمة .

💡 ثم بينّ أن التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة دين الرسل جميعاً ، فما من رسول إلا دعا قومه إلى إفراد الله بالعبادة ، قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] . فالرسل جاءت إلى أممهم تدعوهم إلى إفراد الله سبحانه بالعبادة .

🔘وكان أوّل رسول أرسله الله إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد بعد أن وقعوا في الشرك نوح عليه الصلاة والسلام فبعثه الله إلى قومه لما غلّوا في الصالحين (ودّ ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر) . 📎 والغلو : هو مجاوزة الحد المأذون فيه على وجه الإفراط ،

☑️ فمداره على أمرين :

1️⃣ أحدهما : تعد الحد المحدود شرعاً مما أذن به . ◽ فأحكام الشرع المطلوبة من العبد تنتهي إلى حدود بيّنها الشرع .

2️⃣ والآخر : تعلّق ذلك التعدي بالإفراط ، أي بالزيادة على المشروع المأذون به .

💠 فالصالحون يُنتَفَع بهم في صحبتهم ، واستنصاحهم ، وطلب الدعاء منهم حال حياتهم ، فإذا تُعدي المأذون به شرعاً مما ذكر وأشباهه برفعهم فوق أقدارهم ، بالتوجه إليهم واعتقاد النفع والضر فيهم ، وجعل شيء من العبادات لهم كالدعاء أو الاستغاثة أو النذر أو الذبح ، يكون العبد واقعاً في الشرك .

🔶وكان هذا هو مبتدأ الشرك في الأرض ، كما ذكر المصنف من غلو قوم نوح في أولئك الصالحين ، وكان مبتدأ غلوهم فيهم أنهم لما ماتوا صوروا لهم صوراً تذكرهم بهم ، ليشتاقوا إلى عبادة الله ، ثم عظم هذا الأمر فيهم لما نسي العلم وتناسخ الجيل الأول منهم ، فعُبدت تلك الصور من دون الله عز وجل .

فلم يكن مراد واضعيها أولاً أن يعبد أولئك الصالحون ، بل مرادهم أن يحمل النظر إليهم على الاجتهاد في عبادة الله ، فلم يزل الشيطان ينصِب لهم حبائله ويجرّهم إلى الغلو فيهم حتى عبدوهم من دون الله ، ولم تزل عبادتهم في أم الأرض جيلا بعد جيل .

🔶 فإنه لما كتب الله الطوفان على قوم نوح ألقى البحرُ هذه التماثيل على شاطئ بحر جُدة ، ثم سفت عليها السوافي وعلتها الرمال حتى استخرجها عمرو بن لُحيّ الخزاعي وفرّقها بين العرب وزيّن لهم عبادتها .

🔶وكان العرب على دين إبراهيم الخليل حتى رأى عمرو بن لحي ما عليه أهل الشام من عبادة الأصنام ، فأعجبه ذلك وكان له ولقومه سلطة ونفوذ على مكة ، فزيَّن للناس عبادة الأصنام ونصبها في مكة ، فابتدأت عبادة الأصنام في العرب بدعوة عمرو بن لحي ، ولم تزل فيهم حتى بعث الله إليهم محمداً ﷺ فدعاهم إلى إفراد الله بالعبادة ، وأخبرهم أن التوجه بالدعاء والخوف والاستغاثة والنذر والذبح هو لله وحده .

🔶 وكان الله بعثه في أناس لهم أعمال صالحة ، فكانوا يصومون ويحجّون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يعبدون الله ويعبدون غيره .

🔴 فأبطل النبي ﷺ عبادتهم ودعاهم إلى توحيد الله وحده ، وأخبرهم أن العبادة لا تكون لغيره وإنما هي له ، ولم يزل النبي ﷺ يقوم ويقعد ويبدي ويعيد في دعوتهم وقتالهم ، حتى أظهره الله عليهم فكسّر تلك الأصنام التي كانت تعبدها العرب وينصبونها حول الكعبة ، فأظهر الله دين التوحيد وجدد ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بدعوة محمدٍ ﷺ .

⚪ وكانت العرب تعتقد أن الله هو الرازق الخالق المالك المدبر ، لكنهم يعبدون ما يعبدون من الأصنام والملائكة والنجوم والشمس والقمر ، طلباً للتقرب من الله فيجعلونهم شفعاء عنده ، فأبطل النبي ﷺ أتخاذهم الشفعاء ودعاهم إلى عبادة الله وحده .

فَإِذَا أَرَدتَ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بهذا فَاقْرَأْ عَلَيه : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس :٣١] الآيةُ , وَقَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا ﴾ [المؤمنون : ٨٤] إلى قَوْلِه : ﴿ فَأَنا تسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٩] ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ العَظِيمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ .

📝 أقام المصنف رحمه الله في هذه الجملة الدليل على أن أولئك المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ ⬅️ مُقرون بتوحيد الربوبية ، فذكر ما يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت .

🔷 ووجه دِلالة ما ذكر أنهم كانوا كذلك أنهم كانوا إذا سُئلوا عن شيء من أفراد الربوبية نسبوا تلك الأفعال إلى الله تعالى ، فله الخلق له ، وله الرزق ، وهو الذي يخلق وهو الذي يرزق ، وهو الذي يحيي ، وهو الذي يميت ، وهو الذي يدبر الأمر كله ، وكل هذه الأفراد من توحيد الربوبية ، فإن حقيقة توحيد الربوبية إفراد الله بذاته وأفعاله .

إذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقرُّونَ بِهذا ، وأنَّهُ لَمْ يُدْخلْهُمْ في التَّوْحيدِ الَّذي دَعتْ إلَيْه الرُّسُلُ ، ودَعاهُمْ إلَيْه رَسُولُ الله ﷺ .

وَعَرَفْتَ أنَّ التَّوْحيدَ الَّذي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحيدُ العِبادَة ، الَّذي يُسَمِّيه المشركُون في زَمَاننَا الاعْتِقاد ؛ كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ الله سبحانه وتعالى لَيْلاً ونَهَاراً ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائكَةَ لأَجْلِ صَلاحِهِمْ وقُرْبِهِم من الله عز وجل لِيَشْفَعُوا لَهُم ، أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالحًا مِثْلَ : اللاَّتِّ ، أَوْ نَبيًّا مِثْلَ عِيسَى .

وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى هذا الشِّرْك ، وَدَعَاهُمْ إلى إخْلاَصِ العِبَادَة لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٤] .

وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله ، وَالدُّعَاءُ كُلُّهُ لله ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لله ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لله ، وَالاسْتِغاثَةُ كُلُّهَا بالله ، وَجَميعُ أَنْوَاعِ العِبَادَة كُلُّها لله .

وَعَرَفْتَ أَنَّ إقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّة لَمْ يُدْخِلْهُم في الإِسْلاَم ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلائِكَةَ ، أو الأَنْبياء ، أو الأَوْلياءَ ؛ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إلى الله بِذَلكَ هُوَ الَّذي أَحَلَّ دِماءَهُمْ وأَموَالَهُمْ .

= عَرَفْتَ حِينَئذٍ التَّوحيدَ الَّذي دَعَتْ إلَيْه الرُّسُلُ ، وَأَبَى عَنِ الإقْرارِ بِه المُشْرِكُونَ .

📌ذكر المصنف رحمه الله في هذه الجملة مقدمات سبعاً ، رتب عليها نتيجة جليلة :

1️⃣ فأولها : في قوله : (إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقرُّونَ بِهذا) أي : مُقرُّون بتوحيد الربوبية ، فكان المشركون مقرين به .

2️⃣ وثانيها : في قوله : (أنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ في التَّوْحيدِ الَّذي دَعَتْ إِلَيْه الرُّسُلُ وَدَعَاهُمْ إِلَيْه رَسُولُ الله ﷺ) فإقرارهم بالربوبية لم يدخلهم في التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودعاهم إليه محمدٌ ﷺ ، 👈وهو إفراد الله بالعبادة .

3️⃣ وثالثها : في قوله : (وَعَرَفْتَ أَنَّ التَّوْحيدَ الَّذي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحيدُ العِبَادَة ، الَّذي يُسَمِّيه المشْرِكُونَ في زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ ؛ كَمَا كَانُوا يَدْعُونَ الله سبحانه وتعالى لَيْلاً وَنَهاراً ، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الملائكَةَ لأَجْلِ صَلاحِهِمْ وقُرْبِهِم من الله لِيَشْفَعُوا لَهُم ، أَوْ يَدْعُو رَجُلاً صَالِحًا مِثْلَ : اللاَّتِّ ، أَوْ نَبيًّا مِثْلَ عِيسَى)

☑️ فالتوحيد الذي جحدوه هو إفراد الله بالقُرَب التي يتقرب بها إليه ، فكانوا يتقربون إليه بها ويتقربون إلى غيره بها ، فيذبحون لله ويذبحون لغيره ، ويدعون الله ويدعون غيره .

🔷 وهو الذي يسميه متأخروا المشركين بالاعتقاد ، فيقولون إن فلاناً مُعتقَدٌ فيه ، أو أن للناس فيه اعتقادٌ حسن ،

👈 ومرادهم تعلّق قلوبهم بمَنْ يُتوقّع منه الضرُّ والنفع .

⬅️🔷فيحملهم هذا التعلق إلى أن يجعلوا له شيئاً من عباداتهم ، فيذبحون له وينذرون له ، ويدعونه ، ويستغيثون به ، فأشبهوا مشركي الجاهلية الأولى ، فإن الحال التي هم عليها هي الحال التي كان عليها المشركون الأولون .

⬅️🔶وكان المشركون الأولون يتوجهون بتلك القرب إلى مألوهات متعددة ، فمنهم من يتوجه بها إلى الأنبياء كعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، ومنهم من يتوجه بها إلى الملائكة ، ومنهم من يتوجه بها إلى الصالحين ، ومنهم من يتوجه بها إلى النجوم ، ومنهم من يتوجه بها إلى الشمس ، ومنهم من يتوجه بها إلى القمر .

⬅️🔶وأشبههم مشركوا المتأخرين فمنهم من يتوجه بها إلى الجيلاني ، ومنهم من يتوجه بها إلى الحسين ، ومنهم من يتوجه بها إلى البدوي ، إلى آخر مألوهاتهم التي ألهوها بقلوبهم وتعلقوا بها ، واعتقدوا فيها الضر والنفع ، فجعلوا لها ما لله سبحانه وتعالى من العبادات .

📌ذكر المصنف رحمه الله في تحقيق العبادة لله وحده ، وأنها ليست لشيء من هؤلاء ، ذكر آيتين كريمتين :

💎فالآية الأولى قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ، وهذه الآية تدل على 👈 إخلاص العبادة لله وحده من وجهين :

1️⃣ أحدهما : في قوله ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ ، فمجموع المذكور في معناها أن الإجلال والإكبار والإعظام لله وحده ، ليس لأحد سواه .

2️⃣ والآخر : في قوله ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ، فإنه نهي عن دعاء غير الله سبحانه وتعالى كائناً من كان ،

🔷 وتقدم أن الدعاء في خطاب الشرع يقع إسماً للعبادة كلها ، لقوله ﷺ (الدعاء هو العبادة) رواه أصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير وإسناده صحيح .

💎والآية الثانية قوله تعالى ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ ، ودلالتها على إخلاص العبادة لله من وجهين :

1️⃣ أحدهما : في قوله : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ ، أي له الدعوة الخالصة كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ، فالدين المتمحض السالم من الشوب هو لله سبحانه وتعالى وحده .

🔶 وقصد الحصر في الآية بتقديم الجار والمجرور ، فتقدير الجملة 👈 دعوة الحق له ، فلما قدّم ما حقه التأخير عُلم أن المقصود حصر العبادة الحق في الله وحده .

2️⃣ والآخر : في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ ، فأبطل الله سبحانه وتعالى عبادتهم بأنهم لا ينتفعون من دعوة أولئك ، بل يوم القيامة يكونون لهم أعداءً من دون الله سبحانه وتعالى .

4 ورابعها : في قوله : (وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله ، وَالدُّعَاءُ كُلُّهُ لله ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لله ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لله) ، إلى آخر ما ذكر ، فالنبي ﷺ قاتل أولئك المشركين ليخلصوا دينهم إلى الله سبحانه وتعالى .

5 وخامسها : في قوله (وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَى ذلك الشِّرْكِ وَدَعَاهُمْ إِلى إِخْلاَصِ العِبَادَةِ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له) ، فكان قتال النبي ﷺ لهم لكونهم مشركين ، وهذا الشرك منشأه أنهم جعلوا من عباداتهم شيئا لله ولغيره .

6 وسادسها : في قوله : (وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهُمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُم في الإِسْلاَمِ) أي : عرفت أن ما كانوا عليه من الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لم يدخلهم في دين الإسلام ، الذي هو إفراد الله بالعبادة .

✅ والفرق بين هذه المقدمة والمقدمة الثانية : أن المقدمة الثانية تبين أن توحيدهم الربوبية لم يدخلهم في دين الرسل الذي هو التوحيد ، وهذه المقدمة تبين أن توحيدهم الربوبية لم يدخلهم في الدين الذي بعث به النبي محمد ﷺ .

فالمقدمة الثانية تنفي عنهم الدخول بالإسلام بمعناه العام ، والمقدمة السادسة تنفي عنهم الدخول في الإسلام بمعناه الخاص .

7 وسابعها : في قوله : (وَأَنَّ قَصْدَهُمُ المَلاَئِكَةَ أو الأَنْبِياءَ أو الأَوْلِياءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ وَالتَّقَرُّبَ إِلى الله بِذَلِكَ هُوَ الَّذي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ) ، فكان المانع لهم من دخول الإسلام المُحِلُّ لأموالهم ودماءهم أنهم كانوا يتوجهون بتلك العبادات لغير الله سبحانه وتعالى ، ويجعلون أولئك المتقربَ إليهم شفعاء ووسائط عند الله سبحانه وتعالى ، فكانوا يقولون ﴿ هؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ ويقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِّ زُلْفَى ﴾ ، وهاتان الآيتان تدلان على أمرين عظيمين :

🔻 أحدهما : أن الذي كانوا يفعلونه هو 👈 عبادة غير الله ، فكانوا مقرّين على أنفسهم بالشرك في قولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾ فعلموا أن دعاء أولئك والاستغاثة بهم والذبح لهم والنذر لهم هو عبادة لهم ، وهذا هو الذي يجهله المتأخرون ، الذين يفعلون ذلك ثم يزعمون أن هذا ليس عبادة ، فالعرب العرباء بفصاحة ألسنتها وحسن فهمها تعلم أنك إذا دعوت أحداً أو استغثت به أو ذبحت له أو نذرت له ، فإنك قد عبدته ، ولذلك أقروا بعبادتهم فقالوا ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهَّ زُلْفَى ﴾ .

🔻 والآخر : أن الشرك الواقع فيهم هو اتخاذ الشركاء شفعاءَ ووسائط عند الله عز وجل ، فكانوا يرغبون إلى هؤلاء الشركاء ليشفعوا لهم عند الله فيقربوهم منه .

🔶 وهذا الشرك الذي قاتل عليه النبي ﷺ أولئك ، هو الشرك الذي فشا في المتأخرين ، فإنهم بما يفعلون يعبدون هؤلاء ، وهم يزعمون أن هؤلاء لهم جاه ، فيرجون منهم أن ينفعوا بجاههم عند الله ، وهذا عين مقالة المشركين الأولين .

📝 **ثم ذكر المصنف النتيجة المرتقبة والثمرة المنتظرة من إدراك تلك المقدمات السبع** فقال : (عَرَفْتَ حِينَئذ التَّوحِيدَ الَّذي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ ، وَأَبى عَنِ الإِقْرَارِ به المُشْرِكُونَ) أي : علمت أن التوحيد الذي دعاهم إليه رسول ﷺ هو أن يجعلوا العبادة لله وحده ، ولما فهموا هذا تصايحوا وقالوا ﴿ أَجَعَلَ الْأَلِهَةَ إِلها وَاحِداً ۖ إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ .

🔶فالمشركون الأولون فهموا مراد النبي ﷺ مما يدعوهم إليه ، أن يجعلوا عبادتهم لله وحده ، وأنكروا المعنى فلم يسلموا له ﷺ فيما دعاهم إليه .

🔻 وأما المشركون المتأخرون فإنهم يقعون فيما يقعون فيه من أفعال الشرك المحاذية للمشركين الأولين ثم يزعمون أنهم من أهل لا إله إلا الله ، فهم قد جهلوا المعنى اللفظ وحقيقته المرادةَ منه .

وَهذا التَّوْحيدُ هُوَ مَعنى قَوْلك : لاَ إله إلاَّ اللهُ ، فإنَّ (الإِلَه) عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذي يُقْصَدُ لأَجْلِ هذه الأمُور ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا ، أوْ نَبيًّا ، أَوْ وليًّا ، أَوْ شَجَرةً ، أَوْ قَبْرًا ، أَوْ جِنيًّا .

لَمْ يُريدُوا أنَّ الإِلَهَ هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدبِّرُ ؛ فإنَّهُمْ يعْلَمُونَ أنَّ ذَلكَ لله وَحْدَهُ كَمَا قدَّمْتُ لَك ، وإِنَّما يَعْنُونَ بـ(الإِلَه) مَا يَعْني به الـمُشْركُونَ في زَمَانِنَا بلَفْظ السَّيِّد ، فَأتَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ يدْعُوهُمْ إلى كَلمَة التَّوْحيد وَهيَ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ .

وَالـمُرَادُ منْ هذه الكَلمَة مَعْنَاها ، لاَ مُجَرَّدُ لَفْظها .

وَالكُفَّارُ الجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرادَ النَّبيِّ ﷺ بهذه الكَلمَة هُوَ إفْرَادُ الله تَعَالَى بالتَّعَلُّق ، وَالكُفْرُ بمَا يُعْبَدُ منْ دُونه وَالبَرَاءَةُ منْهُ ؛ فَإِنَّهُ لَـمَّا قَالَ لَهُمْ : قُولُوا : لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ ، قَالُوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

فَإذا عَرَفْتَ أنَّ جُهَّالَ الكُفَّار يَعْرفُونَ ذَلكَ ؛ فَالعَجَبُ ممَّنْ يَدَّعي الإسْلاَمَ وَهُوَ لاَ يَعْرفُ منْ تَفْسير هذه الكَلمَة مَا عَرَفَ جُهَّالُ الكُفَّار ، بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بحُروفها ، منْ غَيْر اعْتقَاد القَلْب لشَيْءٍ منْ المَعَاني ، وَالحَاذقُ منْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعنَاهَا : لاَ يَخْلُقُ وَلا يرْزُقُ وَلا يُدبِّرُ الأَمْرَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ .

فلا خَيْرَ في رَجُلٍ جُهَّالُ الكُفَّار أَعْلَمُ منْهُ بمَعْنى لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ .

📌بيّن المصنف رحمه الله في هذه الجملة أن توحيد العبادة الذي دعت إليه الرسل هو معنى (لا إله إلا الله) ، فمعناها لا معبود حق إلا الله ، فهي تنطوي على نفي وإثبات .

🔷فأما نفيها : ففي قوله : (لا إله) الدال على إبطال عبادة كل أحد سوى الله تعالى .

🔷وأما إثباتها : ففي قوله : (إلا الله) الدال على إثبات العبادة لله وحده .

☑️وإذا نفيت العبادة عن غير الله سبحانه وتعالى وأثبتّ العبادة له وحده ، 👈كان هو وحده المعبود الحق ، 👈وكان كل ما سواه معبوداً باطلاً ، وهذا هو الذي أدركه المشركون من دعاء النبي ﷺ لهم إلى لا إله إلا الله .

🔘فإن الإله عندهم هو الذي يتوجه إليه في كشف الملمات وإغاثة اللهفات وتحصيل الحاجات ، فيتوجهون إليه بما يتوجهون إليه من عبادتهم لإدارك تلك المطلوبات ، فدعاهم النبي ﷺ إلى ما يبطل اعتقادهم في الإله ، بأن لا يكون لهم آله حق سوى الله سبحانه وتعالى ، فأنكروا هذا وقالوا ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ .

📌ثم ذكر المصنف أن مَنْ يدّعي الإسلام من متأخري هذه الأمة لا يدري من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهّال كفار قريش .

💠 وذكر من هؤلاء طائفتان :

1️⃣ الطائفة الأولى : هم المذكورون في قوله : (بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لِشَـيْءٍ مِنْ الْمَعَانِي) فيظنون أن المقصود هو قولها باللسان فقط ، وأنه إذا قال : (لا إله إلا الله) ، صار من أهلها ولو فعل ما فعل مما يناقض لا إله إلا الله ، فإذا ذبح لغير الله ، أو نذر لغير الله ، أو دعا غير الله ، أو استغاث بغير الله ، وهو يقول لا إله إلا الله فهو عند هذه الطائفة الجاهلة حقيقة لا إله إلا الله ، من أهل لا إله إلا الله ، لأنهم يظنون أن المقصود هو مجرد التلفظ بها .

2️⃣ والطائفة الثانية : هم مَنْ ينتسب إلى الحذْق والمعرفة والفهم منهم ، الذين يزعمون أن معناها أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله ، ويفسرون الإله بأنه القادر على الاختراع ، فكلمة التوحيد لا إله إلا الله معناها عندهم لا خالق ، ولا رازق ، ولا محيي ولا مميت ولا مدبر سوى الله سبحانه وتعالى ، فيجعلون التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودعا إليه محمد ﷺ هو توحيد الربوبية .

📝ومما يعجب منه العاقل حالُ هاتين الطائفتين اللتين ادعتا ما ادعتا في (لا إله إلا الله) ، فإن من اطلع على سيرة النبي ﷺ وجهاده المشركين ، علم أنه ﷺ لم يرد منهم مجرد القول بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ولا أراد منهم ﷺ أن يقروا بأن الله هو الخالق الرازق المدبر .

🔘فإن العرب امتنعت من اللفظ لمعرفتها بالمعنى ، فإنهم لم يذعنوا بقول لا إله إلا الله لأنهم يعلمون أن من قالها يلزمه من الاعتقاد الجازم والعمل اللازم ما يبطل عبادة غير الله سبحانه وتعالى .

🔶فمن قال منهم لا إله إلا الله لزمه عندهم أن يكون دعائه كله لله ، وأن يكون ذبحه كله لله ، وأن يكون نذره كله لله ، فلما فهموا هذا امتنعوا منه .

🔷 ولم يكن النبي ﷺ يريد منهم بدعوتهم لا إله إلا الله ، أن يؤمنوا بأن الله هو الخالق الرازق المالك المحيي المميت المدبر ، فإنهم كانوا يؤمنون بهذا كما تقدم بأدلته في صدر هذا الكتاب ، والأمر كما قال المصنف فلا خير في رجل جهّال الكفار أعلم منه بـ لا إله إلا الله ، لأنه عمي عن الحق فجهل المعنى ، وأولئك عقلوا معناها لكنهم امتنعوا منها .

✅ ومن أجلّ نعم الله سبحانه وتعالى على العبد أن يعرّفه بـ لا إله إلا الله

💎 قال سفيان بن عيينة رحمه الله : "ما أنعم الله على عباده نعمةً أعظم من (لا إله إلا الله)" أي : لم يسدي إليهم الله سبحانه وتعالى نعمة هي أعظم من أن عرفهم الله سبحانه وتعالى بكلمة التوحيد فآمنوا بها .

⬅️ فإنه من آمن بـ لا إله إلا الله واعتقد بأنه لا معبود حق إلا الله ، اطمئن قلبه وانشرح صدره وأنس بربه ، لأن في النفس كسراً ونقصاً وضرورة من التأله لا يسدها إلا توجه العبد إلى الله وحده ، فمن توجه إلى غير الله عز وجل لم يزل مضطرباً قلقلاً متململاً شعثاً في قلبه ، وربما أداه ما يجده من الضيق في صدره إلى أن يقتل نفسه ، لأن من ضلّ ربه ضاق عيشه وربما ابتغى الخروج من هذا العيش ،

☑️ فنعمة التوحيد في معرفة لا إله إلا الله لا يعدلها نعمة .

إذَا عرَفْت ما قُلْتُ لَك معْرفَة قَلْب ، وعرَفْت الشِّرْكَ باللهِ الَّذي قالَ اللهُ فيه : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَك بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُون ذَلك لِمَن يشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

وعرَفْت دِينَ اللهِ الَّذي بَعَث به الرُّسُلَ مِنْ أوَّلِهِم إلى آخِرِهِمْ الَّذي لا يقْبَلُ اللهُ مِنْ أحَد دِينًا سِوَاهُ .

وعرَفْت ما أصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ عَلَيه مِنَ الجهْلِ بهذا = أفادَك فَائدَتَيْن :

الأُولَى : الفَرحُ بفَضْلِ اللهِ ورَحْمَتِه ؛ كمَا قَالَ تَعالَى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وأَفَادَكَ أيْضًا الخَوفَ العَظِيمَ ؛ فإنَّك إذا عَرَفْت أنَّ الإنْسَانَ يَكْفُرُ بكَلمَة يُخرِجُها مِنْ لِسَانِه دُونَ قَلْبِه ، وقَدْ يَقُولُها وهُوَ جَاهِلٌ فَلا يُعْذَرُ بالجهْلِ ، وقَدْ يَقُولُها وهُوَ يظُنُّ أنَّها تُقَرِّبُهُ إلَى اللهِ زُلْفَى كمَا ظَنَّ الكُفَّارُ .

خُصُوصًا إنْ ألْهَمَكَ اللهُ مَا قصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَى عَلَيه السَّلامُ - مَع صَلاحِهِمْ وعِلْمِهِمْ - أنَّهُمْ أتَوْهُ قَائلين : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ؛ فَحِينئذٍ يَعْظُمُ خَوْفُكَ وَحِرْصُكَ علَى مَا يُخَلِّصُكَ مِنْ هذا وأَمْثَالِهِ .

📌ذكر المصنف رحمه الله في هذه الجملة مقدمات أربعاً أخرى رتَّب عليهن نتيجة جليلة :

1️⃣ فأولها في قوله : (إذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْب) وهو أن النبي ﷺ بُعث في قوم يُقرِّون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ، ويدعون الله ويعبدونه ، إلا أنهم يدعونه ويدعون غيره ، ويعبدونه ويعبدون غيره .

2️⃣ وثانيها : في قوله : (وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ باللهِ الَّذي قَالَ اللهُ فِيه : ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾)

👈 أي : عرفت أن شركهم الأكبر هو الشرك في العبادة .

☑️ والشرك له في الشرع له معنيان :

▪️ أحدهما : معنى عام : وهو جعْل شيء من حق الله لغيره .

▪️ والآخر : معنى خاص : وهو جعْل شيء من العبادة لغير الله .

👈والمعنى الثاني هو المعهود في خطاب الشرع إذا أُطلق الشرك .

3️⃣ وثالثها : في قوله : (وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذي بَعَثَ بِهِ الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلى آخِرِهِمْ الَّذي لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَاهُ)

👈 أي : عرفت الدين الذي بعث الله به رسله ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه ، وهو الإسلام .

💎وحقيقته : الاستسلام لله بالتوحيد . فإن الرسل متفقون على دعوة الناس إلى أن يستسلموا لله بتوحيده سبحانه وتعالى .

4️⃣ ورابعها : في قوله : (وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ عَلَيهِ مِنَ الجَهْلِ بِهذا)

👈 أي : من الجهل بالتوحيد والشرك ، فيجعلون التوحيد والشرك على معاني غير المعاني التي دعا إليها النبي ﷺ ، فيجعلون من التوحيد ما هو شرك ، ويجعلون من الشرك ما هو توحيد لغلبة الجهل والضلال على الخلق .

 ثم ذكر المصنف النتيجة المرتقبة والثمرة المنتظرة من إدراك المعارف السابقة المنتظمة في المقدمات الأربع

فقال : أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ :

💎 الأُولَى : الفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِه . 👈 أي بما جعل لك من البصيرة التي تميز بها التوحيد والشرك ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

قال أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه : (فضل الله : الإسلام ، ورحمته : القرآن) .

💎 والثانية : الخوف العظيم من الوقوع في الشرك ؛ لأن العبد إذا عرف ذلك عظُم خوفه منه ، واعتبر هذا في حال الخليل عليه الصلاة والسلام الذي علا مقاماً رفيعاً فيه حتى بلغ رتبة الخُلّة ، وكان من دعائه : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] ، فكان الخليل لمعرفته حقيقة الشرك يتخوفه على نفسه وعلى ذريته ، وإذا كانت هذه حاله فغيره أولى بالخوف .

🔘 قال إبراهيم التيمي : مَنْ يأمن البلاء من بعد إبراهيم؟ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . 👈 أي لا أحد يعقل يأمن على نفسه مضرة الشرك ، بعد أن دعا أبو الأنبياء وخليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه أن يجنبه وبنيه الشرك .

✅ ومما يقوي الخوف من الشرك في قلب العبد أن الإنسان قد يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، فيتكلم بها لا يتبين فيها فتهوي به في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب . ثبت ذلك في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

◾ فيحبط عمله ويغضب الله عليه ، ويدخله النار بتلك الكلمة كما وقع من القوم الذين كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فقالوا : ما رأينا مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ، ولا أجبن عند اللقاء . . إلى آخر ما قالوا ، فأكفرهم الله عز وجل بما قالوا .

◀️ وقد يقول الإنسان تلك الكلمة – كما ذكر المصنف – وهو جاهل فلا يُعذَر بجهله لقيام الحجّة عليه وتمكّنه من معرفتها ، أما مع عدم قيام الحجة ، وعدم التمكن من معرفتها فهذا هو الذي نفى الله التعذيب عنه فقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ . ذكره ابن القيم في طريق الهجرتين .

📌ثم ذكر المصنف رحمه الله آبدة ثانية من أوابد مَنْ يتكلم كلمةً لا يلقي لها بالاً فيقع في الشرك وتوجب له دخول النار ، وهو أنه قد (يَقُولُها وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّها تُقَرِّبُهُ إِلَى اللهِ زلفى)

📎كما كان المشركون يقولون في تلبيتهم : لبيك الله لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ، فإنهم كانوا يلبّون بذلك في الحج ، ويظنون أن هذه الكلمة وفيها الشرك تقربهم إلى الله سبحانه وتعالى .

📌ثم ذكر المصنف واقعة من الوقائع التي تثمر الخوف في القلوب من الشرك ، 👈وهو ما اتفق في قصة قوم موسى عليه الصلاة والسلام مع علمهم وصلاحهم وصحبتهم لنبي من الأنبياء ، لما مروا على قوم يعكفون على أصنام يعبدونها فقالوا ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، واتفق ذلك مع النبي ﷺ في قصة ذات أنواط ، وسيأتي بيانه .

☑️ وإذا كان هذا واقعاً لأناس من أهل العلم والصلاح مع نبي من الأنبياء وهو موسى عليه الصلاة والسلام ، فأولى أن يعظم خوف العبد من أن يقع في الشرك لعدم رفقته لنبي ، وإنما جاء بعد موته ، وهو يتهم نفسه بالصلاح فيتخوف عليها الشرك ، ويعظم خوفه منه ، فما دامت هذه حاله فإنه على رجاء سلامة ، وأما من يهوّن الخوف من الشرك ويظنّ أنه في مأمن منه ، فإنه قد نصب له الشيطان حبالة قد علق فيها ، وهي حبالة تهوين الشرك في قلوب الخلق ، فإن أبواب الشرك كثيرة يحتاج سدها إلى علم كامل .

💎قال ابن مسعود رضي الله عنه : «إن للشرك بضعاً وسبعين باباً» . رواه البزار وغيره وإسناده صحيح .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذا التَّوحِيدِ إلاَّ جَعَلَ لَهُ أَعْدَاءً كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[الأنعام : ١١٢] .

وَقَدْ يَكُونُ لأَعْدَاءِ التَّوحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرةٌ وَكُتُبٌ وَحُجَجٌ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [غافر : ٨٣] .

📌ذكر المصنف رحمه الله في هذه الجملة أمرين عظيمين :

1 أحدهما : أن الله لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء من المشركين ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾[الأنعام : ١١٢] ، فإذا انتصب الداعي إلى التوحيد من الأنبياء يدعو الخلق إلى إفراد الله بالعبادة ، برز له في معاداته شياطين الأنس والجن .

🔷وفي الصحيح في قصة ورقة بن نوفل أنه قال للنبي ﷺ : أنه لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ، فمَنْ دعا الناس إلى توحيد الله أُرصدت له شياطين الأنس والجن العداوة ، واحتالوا في دفع الناس عن تصديقه واتّباعه .

🔶وكما كان هذا في الأنبياء فإنه يكون في أتباعهم ، فلا يقوم أحد بعد الأنبياء إلا ظهر له أولئك الأعداء ، كالذين ظهروا قديماً وحديثاً إلى يومنا هذا من أعداء الداعي إلى التوحيد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى فإنهم عادوه وكذبوا عليه الأكاذيب وزيّفوا في أخباره الدعاوى لأنه دعا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى .

🔷وقد مضى أنه ما من أحد يدعوا إلى توحيد الله عزوجل إلا قام له أعداءٌ من شياطين الأنس والجن يصدون الناس عن دعوته ، واعتبر هذا في حاله وحال أولئك الأعداء ، تجد صدق هذا ، فإنهم كذبوا وزيفوا وادعوا عليه ما هو منه براء ، لأجل أمر واحد وهو أنه دعاهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى .

🔶وكما كان هذا في المنتصب من العلماء الداعين إلى التوحيد في معاداته والطعن فيه ، كان ذلك في الأمراء القائمين بنصرته ، فإنه لم يزل أولئك يدّعون الدعاوي على هذه الدولة قديماً وحديثاً بأكاذيب وأراجيف يزيفونها مع ما قامت عليه من نصرة دعوة التوحيد ، وبذل النفس قبل المال في ذلك ، فإن كثيراً من أمرائها قتلوا لأجل التوحيد ، والإمام عبدالله بن سعود رحمه الله تعالى قتل لأجل التوحيد وألقي رحمه الله تعالى في ماء موقدٍ على نار نكاية به ، وشرّد من شرّد منهم في أرض الله لأجل نصرتهم إلى التوحيد .

🔷ولا تزال هذه الأراجيف إلى يومنا هذا ، فإذا عرفت حقيقة الأمر علمت أنك إن قمت مقامهم لقيت ما لقوا ، فإنه لا يقوم أحد من عالم أو أمير في نصرة التوحيد إلا خرج له أعداء يدّعون عليه من الكذب والزيف ما هو منه براء .

2 والآخر : أن أعداء التوحيد لهم علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ ﴾ [غافر : ٨٣] ، والعلم الذي عندهم هو ما ورثوه من آبائهم وأجدادهم ، وليس حقيقة العلم ولكن صورة مزيفة لهم ، فإن العلم الصحيح يدعوا إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، لكن هؤلاء عندهم مما ورثوا من الآباء والأجداد ما يتسلون به في مراغمة أهل التوحيد .

إذَا عَرَفْتَ ذَلكَ ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إلى اللهِ لابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْداءٍ قَاعِدينَ عَلَيْهِ ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ = فَالواجِبُ عَلَيْكَ : أَنْ تَعَلَّمَ مِن دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلاحاً تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إمَامُهُمْ وَمُقَدَّمُهُمْ لِرَبِّكَ عز وجل :

﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُم صِراطَكَ المُستقيمَ ۝ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِن بَينِ أَيدِيهِم وَمِن خَلفِهِم وَعَن أَيمانِهِم وَعَن شَمائِلِهِم وَلا تَجِدُ أَكثَرَهُم شاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٦-١٧] .

وَلَكِنْ إنْ أَقْبَلْتَ إلى اللهِ تَعَالَى ، وَأَصْغَيْتَ إلى حُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ فَلا تَخَفْ وَلا تَحْزَنْ ، ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٧٦] .

وَالعَامِيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلْفًا مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلاَءِ الْمُشرِكِينَ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٣] ، فَجُنْدُ اللهِ تَعَالَى هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ ، كَمَا أَنَّهُمْ هُمُ الغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ .

وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَى الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْس مَعَهُ سِلاحٌ ، وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل : ٨٩] .

فَلا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إلاَّ وَفِي القُرْآنِ ما يَنْقُضُهَا وَيُبَيِّنُ بُطْلاَنَهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣٣] .

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : هذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ البَاطِلِ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ .

📌ذكر المصنف رحمه الله في هذه الجملة أن الإنسان إذا عرف ما يفرح به من توحيده ، وما يحذر من الشرك ، وأن الطريق عليه أعداء قاعدون أهل فصاحة وعلم وحجج 👈فالواجب عليه أن يتخذ من دين الله ما يصير به سلاحاً يقاتل به هؤلاء الشياطين ، الذين قال مُقدَّمهم وهو الشيطان ﴿ لأَقعُدَنَّ لَهُم صِراطَكَ المُستَقيمَ ﴾ ، وورث هذا عن الشيطان من ورثه من شياطين الإنس والجن الذين ينوبون عن الشيطان في القعود لأهل التوحيد ليصدوهم عن عبادة الله وحده ، فالعبد مأمور أن يتخذ من دون الله ما يكون له سلاحاً يقاتل به ، فيتعلم من الدين ما يحقق به التوحيد وينفي به الشرك والتنديد .

🔷 ومما تطمئن به قلوب الموحدين أن أولئك القائمين مقام الشيطان في الصدّ عن الدين ممن يدعون العلم والحجة والفهم من أوليائه ، أنهم مخذولون وحابط ما كانوا يعملون ، لأن الشيطان الذي يؤزّهم مهما بلغ مكره وكيده فإنه كيد ضعيف ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ، فمهما حبل الشيطان من الحبائل وأمد به أولياءه من الوحي فإن كيده ضعيف .

🔶 ويقوي هذه الطمأنينة إقبال العبد على الله ، وإصغاؤه إلى حُجَجه وبيّناته ، فإذا امتلأ القلب بالإقبال على الله ووعى حجج الله في توحيده وإبطال الشرك ، قوي سلاحه في مراغمة أولئك المشركين ، وكان الله سبحانه وتعالى له ولياً .

🔷 ومما تقوى به عزائم الموحدين أن العامي منهم يغلب ألفاً من المشركين ، ومنشأ غلبته لهم الفطرة التي فطره الله عليها ، فإن فطرة الله عباده هي على التوحيد ، ففطرهم على ما يجدونه في نفوسهم من معرفة التوحيد ونُكرة الشرك ، فيكون من هذه الفطرة بياناً ووضوحاً وقوة ما يبطل دعاوى أولئك المشركين .

🔶 وموجب انتصار العامي الموحد على علماء المشركين أنه من جند الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ، ووعد الله سبحانه وتعالى حق لا يتخلف ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ وقال : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ ، فالله سبحانه وتعالى جاعل العاقبة لجنده الموحدين .

📌 ثم ذكر المصنف (أن الخَوْفُ هو عَلى المُوَحِّدِ الَّذي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سلاحٌ يقاتل به)

👈 أي : ليس له من العلم والدين ما يحفظ به قلبه من عوادي أولئك المشبهين ، ولا ما يرد به على شبهات أولئك المبطلين .

📝 وقول المصنف رحمه الله : (وَالعَامِيُّ مِنَ المُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ أَلفًا مِنْ عُلَمَاءِ المُشْرِكِينَ) يتوهم أنه يعارض قوله : (وَإِنَّمَا الخَوْفُ عَلَى المُوَحِّدِ الَّذي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سلاحٌ) ،

1️⃣ 👈 فالجملة الأولى تدل على أن العامي بتوحيده يرد ضلالات المبطلين .

2️⃣ 👈 والجملة الثانية تدل على أن مَنْ كانت حاله من العامية وعدم العلم أنه يُخشى ويُخاف عليه أن يقع في الشرك .

ودفع التعارض بينهما أن المصنف نظر إلى أمرين :

🔷 أحدهما : مأخذ قدري .　　　　🔷 والآخر : مأخذ شرعي .

✅ فبالنظر إلى المأخذ القدري فإن الله يُجري في حوادث القدر إظهار عامي موحد على عالم من علماء المشركين .

✅ وبالنظر إلى المأخذ الشرعي فإن العبد مأمور بتعلم العلم ، فيجب عليه أن يتعلم من دين الله وتوحيده ما يكون له سلاحاً يحفظه من جيش المشركين . 🔶 فالجملة الأولى : منشؤها قدري كوني . 🔶 والجملة الثانية : منشؤها ديني شرعي .

📌 ثم ذكر المصنف رحمه الله في هذه الجملة السلاح الأكيد في إبطال الشرك والتنديد وهو 👈 كتاب الله

🔶 فإنه لا يأتي صاحب باطل بحجة مُتوَهَّمة إلا كان في كتاب الله سبحانه وتعالى ما ينقضها ويبطلها ، قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ ، فلا يشبّه مشبّه بشيء من شُبه المشركين إلا وكشفها في القرآن الكريم .

🔷 وحظّ النّاس من هذه المعرفة بالقرآن متفاوت بقدْر رسوخ معانيه في قلوبهم ، فمن عظُمت معرفته لمعاني القرآن قويت حجته في نصرة التوحيد وإبطال الشرك والتنديد .

وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلَامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا ، فَنَقُولُ :

جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ : مُجْمَلٍ ، وَمُفَصَّلٍ .

أَمَّا الْمُجْمَلُ : فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» .

مِثَالُ ذَلِكَ : إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ، أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ ، أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ ، أَوْ ذَكَرَ كَلَامًا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنْ بَاطِلِهِ ، وَأَنْتَ لَا تَفْهَمُ مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي ذَكَرَهُ .

فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ : إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ لَنَا فِي كِتَابِهِ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ ، وَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ أَوِ الأَنْبِيَاءِ أَوِ الأَوْلِيَاءِ مَعَ قَوْلِهِمْ : ﴿ هؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] وَهَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاهُ .

وَمَا ذَكَرْتَهُ لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ ، وَلَكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلَامَ اللهِ لَا يَتَنَاقَضُ ، أَوْ أَنَّ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ لَا يُخَالِفُ كَلَامَ اللهِ عز وجل .

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ ، وَلَكِنْ لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى ، وَلَا تَسْتَهْوِنْهُ ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

📌 لما بينّ المصنف رحمه الله أن القرآن الكريم كاف في بيان الحق وإبطال الشرك والتنديد شرع رحمه الله يذكر كلاماً احتج به المشركون في زمانه على دعوة التوحيد ، 👈 فبينّ أن الرد على تلك الأقوال الباطلة من طريقين :

1️⃣ أحدهما : طريق مُجمَل ، والمراد به القاعدة الكلية التي تُرَدُّ إليها تفاصيل المسائل المشتبهة .

2️⃣ والآخر : طريق مُفَصّل ؛ والمراد به : الجواب عن كل شُبهة على حدة .

✅ وبدأ بالجواب المجمل لأنه الأمر الكلي والفائدة الكبيرة لِمَنْ عقلَها . واستدل على تحقيقه بآية سورة آل عمران : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] ، فإن الله بينّ أن من القرآن ما هو مُحكَم ، ومنه ما هو متشابه .

والإحكام والتشابه المتعلق بالقرآن له معنيان :

1 أحدهما : الإحكام والتشابه الكلي : بجعْل كل واحد منهما وصفاً للقرآن كله ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ﴾ [هود : ١] . وقال تعالى : ﴿ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا ﴾ [الزمر : ٢٣] ، فجعل الإحكام والتشابه وصفاً للقرآن كله ، فوصفه تارة بالإحكام ، ووصفه تارة بالتشابه . فإحكامه : إتقانه وجعله على أكمل الوجوه .

والتشابه : تصديق بعضه بعضاً .

2 والآخر : الإحكام والتشابه الجزئي : بأن يكون الإحكام وصفاً لبعضه ، ويكون التشابه وصفاً لبعضه .

وهو المذكور في آية آل عمران ، فمنه آيات محكمات ومنه آيات متشابهات .

والإحكام والتشابه الجزئي للقرآن نوعان :

1 أحدهما : إحكام وتشابه في باب الخبر ، فالمحكَم منه : ما ظهر لنا علمه .

والمتشابه منه : ما لم يظهر لنا علمه .

فقد نعلم المعنى والحقيقة معاً ، وهذا إحكام .

وقد نعلم المعنى فقط دون الحقيقة ، وهذا تشابه .

2 وثانيهما : إحكام وتشابه في باب الطلب ؛ فالمُحكَم منه ما عُرف معناه و اتضحت دلالته ،

والمتشابه منه ما لم يعرف معناه ولا اتضحت دلالته .

ثم بيّن المصنف أن ما اشتبه على العبد في مقابل المُحكَم فإن العبد يتمسك بالمحكَم ويترك المتشابه ، وهذا هو مراد المصنف بالجواب المجمل ، بأن يبقى العبد على الإحكام ويعرض عن المتشابه .

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ (كما ذكر المصنف أنه قال : (: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ») متفق عليه من حديث عائشة ، ويجوز في أولئك الكسر فأولئكِ لمخاطبة مؤنث ، ويجوز فيه الفتح ، والكسر أقوى .

والحذر من هؤلاء يجمع أمرين :

1 أحدهما : الحذر من أشخاصهم فلا يُصحبون .

2 والآخر : الحذر من مقالاتهم ، فلا يقبل عليها العبد ولا يتشاغل بها .

🔲 وذكر المصنف مثالاً يتضح به الجواب المجمل : فإذا استدل عليك أحد بالدعاوى الباطلة في توحيد العبادة ، وجاء بكلام متشابه وقال الشفاعة حق ، والأنبياء لهم عند الله جاه ، أو ذكر كلاماً يستدل به وأنت لا تفهم هذا الكلام .

👍فالجواب القاطع المبطل تلك الشبهة أن تتمسك بمحكم القرآن من إفراد الله في العبادة ، وأن الله أمرنا بتوحيده ونهانا أن نشرك به شيئاً ، فلا نجعل شيئاً من عباداتنا لغير الله عز وجل .

👈وأن المشركين الأولين كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المدبر ، لكنّهم اتخذوا تلك الآلهة شفعاء ووسائط عند الله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر محكم بينّ ، فإنه مقطوع به في القرآن ، فإذا عَقلت هذا المحكم لم تنظر في المتشابه الذي يروّجه هذا المُشبّه .

💠وقول المصنف رحمه الله في الجواب على كلام المشبه ، وأنك تقول (لاَ أَعْرِفُ مَعْناهُ) ، يحتمل أمرين :

🔶أحدهما : لا أعرف معناه الذي تدَّعيه وتستدل له .

🔶والآخر : لا أعرف معناه الذي ذكره أهل العلم .

💎وهذا الجواب المجمل الذي ذكره المصنف أصل نافع في توحيد العبادة خاصة وفي الدين عامة ، فإذا شبّه عليك مشبّه بكلام يتعلق بأصل ثابت عندك ، فإيّاك وترك الأصل الذي علمته من كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، لأجل تشبيه هذا المشبّه ، وتعتذر إليه في عدم التسليم بكلامه برجوعك إلى المحكم ، وأن المحكم يدل على كذا وكذا ، وأن هذا الذي تدّعيه لا أدريه ولا أعرفه ، فلا أصير إلى القول الذي تقوله .

👈💎فالتمسك بالمحكمات طوق من أطواق النجاة .

وَأَمَّا الجوابُ المُفصَّلُ : فَإِنَّ أعْداءَ الله لَهُمُ اعْتِراضَاتٌ كَثيرَةٌ عَلَى دِينِ الرُّسُلِ يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ .
مِنْهَا : قَولُهُم : نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا ، بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ ، وَلا يَرْزُقُ ، وَلا يُحْيِي ، وَلا يُمِيتُ ، وَلا يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، وَلا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ - إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلا ضَرًا ، فَضْلاً عَنْ عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ ، وَلَكِنْ أَنا مُذْنِبٌ ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ .

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ ؛ وَهُوَ : أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لِي -أَيُّهَا المُبْطِلُ- ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لا تُدَبِّرُ شَيْئًا ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ .

فَإِنْ قَالَ : إِنَّ هَؤلاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟
فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ .

فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ ، وَأَنَّهُم مَا أَرَادُوا مِمَّا قَصَدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء : ٥٧] ، وَيَدْعُونَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة : ٧٥] .
وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠] ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .
فَقُلْ لَهُ : عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ ، وَكَفَّرَ أَيْضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

فَإِنْ قَالَ : الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ النَّفْعَ وَالضُّرَّ ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ لاَ أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ وَلَكِنْ أَقْصِدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ .
فَالجَوَابُ : أَنَّ هَذَا قَوْلُ الكُفَّارِ ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] ، وَقَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .
وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمًا جَيِّدًا ؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا .

📌لما فرغ المصنف رحمه الله من بيان الطريق المجمل وضرب له مثالاً يتضح به المقال ، شرع يبين شُبه المبطلين في توحيد العبادة على وجه التفصيل .

■ وابتدأ بِشُبه ثلاث أوردها واحدة واحدة ، وألحق بكل شُبهة ما ينقضها ويبطلها ، وهذه الشُّبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فإذا سقطت فغيرها أولى بالوهاء والسقوط .

■ فأول هذه الشُّبَه :

أنهم يقولون : (نَحْنُ لا نُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا ، بَلْ نَشْهَدُ أنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ) (وَلاَ يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ إلاَّ اللهُ) (وَأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِه نَفْعًا وَلا ضَرًّا ، فَضْلاً عَنْ مَنْ هو دونه) ، ولكنَّا مذنبون (وَالصَّالِحُونَ لَهُم جَاهٌ) فنحن نطلب من الله بهم ، هذه هي شبهتهم الكبرى .

◈ ■ وجواب هذه الشُّبهة من ثلاثة وجوه :

1 ■ أحدها : أن هذه المقالة هي مقالة المشركين ، الذين كفَّرَهم النبي ﷺ وقاتلتهم ، فإنهم كانوا مقرّين بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله ، واتخذوا من اتخذوا من الشركاء شفعاء عند الله ، فأنتم تثبتون ما يثبتون من الشفعاء بدعوى أن لهم جاهاً ، فما واقعتم فيه قد كان واقع فيه من كفره النبي ﷺ وقاتله .

2 ■ والوجه الثاني : أن الجاه الذي يكون للصالحين هو جاه يتعلق بهم ، لا يلزم منه جواز دعائهم وسؤالهم ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يأذن لك أن تدعوا هؤلاء الصالحين وتستغيث بهم ، بل جعل لهم جاهاً ومقاماً عند الناس ، ونهاك عن دعاء غيره كائناً من كان ، فهؤلاء الصالحين من جملة من نهاك الله عن دعائهم ، فقال : ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِّ أَحَدًا ﴾ ، أي : أي أحد ولو كان صالحاً .

3 ■ والوجه الثالث : أن العبد المذنب مأمور شرعاً إذا وقعت منه الخطيئة أن يفزع إلى الله بالتوبة والاستغفار ، ولم يُؤمر أن يفزع إلى أولئك الصالحين ليطلب منهم أن يلتمسوا له المغفرة من الله سبحانه وتعالى .

📌ثم ذكر المصنف شبهتهم الثانية :

■ وهي قولهم أن هذا فيمن يعبد الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام ، أفنجعل الأولياء والصالحين مثل الأصنام؟ وكيف تجعلون الأنبياء والصالحين بمنزلة هؤلاء .

💠 ◽ وجواب هذه الشبهة أن الذين أنكر عليهم النبي ﷺ مقالتهم من المشركين لم تكن عبادتهم مخصوصة بالأصنام ، فمنهم من يعبد الأنبياء كعيسى ومنهم من يعبد الصالحين كاللاّت ومنهم من يعبد الملائكة .

🔻 وأنكر عليهم النبي ﷺ جميعاً وكفّرهم وقاتلهم ، فمن عبد الأصنام هو كمن عبد الأنبياء والصالحين والأولياء .

📌ثم ذكر المصنف شبهتهم الثالثة :

■ وهي قولهم : (الكُفَّارُ يُريدُونَ مِنْهُمُ) (وَأنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ لاَ أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ ، وَالصَّالِحُون لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ وَلَكِنْ أَقْصِدُهُم أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُم) .

💠 ◽ والجواب عن هذه الشبهة من وجهين :

1️⃣ ◽ أحدهما : أن هذه الدعوى هي دعوى المشركين الأولين ، فإنهم كانوا يتخذون ما يتخذون ليشفعوا لهم عند الله ، وأنتم مصرّحون بأنكم تتخذون هؤلاء ترجون شفاعتهم ، فحالكم كحالهم ، فكما كان الأولون كفاراً قاتلهم النبي ﷺ ، فأنتم حقيقون بالكفر والقتال .

2️⃣ ◽ والآخر : أن الشفاعة يختص مُلكها بالله وحده ، فليست لأحد سواه ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] ، فالشفاعة كلها لله ، فلا تُطلَب إلا منه ، ولا تنفع إلا بإذنه ورضاه .

💡 والله سبحانه وتعالى نهاك أن تسأل نبياً أو ولياً أو ملكاً الشفاعةَ من دون الله ، لأنه لا مُلك له فيها فلا يسأل فيها .

فَإنْ قَالَ : أَنَا لاَ أَعْبُدُ إلاَّ اللهَ ، وَهذا الالْتِجَاءُ إلَيْهِمْ وَدُعاؤُهُمْ لَيْسَ بعبادةَ .
فَقُلْ لَهُ : أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إخْلاَصَ الْعِبادةِ وَهُوَ حقُّهُ عَلَيْكَ .
فَإذَا قَالَ : نَعَمْ .

فَقُلْ لَهُ : بَيِّنْ لِي هذا الفَرْضَ الَّذي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، وَهُوَ إخْلاَصُ العِبَادَةِ لله ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّهُ لاَ يَعْرِفُ العِبادةَ وَلاَ أَنْواعَهَا ، فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلكَ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] .
فَإذَا أَعْلَمْتَهُ بهذَا ، فَقُلْ لَهُ : هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ لله تَعالَى؟
فَلا بُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ ، وَالدُّعاءُ مِنَ العِبَادَةِ .

فَقُلْ لَهُ : إذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلاً وَنَهَارًا ، خَوْفًا وَطَمَعًا ، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبيًّا أَوْ غَيْرَهُ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟
فَلابُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ .

فَقُلْ لَهُ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] ، فَإذَا أَطَعْتَ اللهَ وَنَحَرْتَ لَهُ ، هَلْ هذه عِبَادَةٌ؟
فَلابُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ .

فَقُلْ لَهُ : إذَا نَحَرْتَ لمَخْلُوقٍ ؛ نَبِيٍّ ، أَوْ جِنِّيٍّ ، أَوْ غَيْرِهِمَا ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هذه العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟
فَلَابُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ : نَعَمْ .

وَقُلْ لَهُ أَيْضًا : المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ ، هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلائِكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَاللاَّتَ وَغَيْرَ ذَلِكَ؟
فَلابُدَّ أَنْ يَقُولَ : نَعَمْ .

فَقُل لَهُ : وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إيَّاهُمْ إلاَّ فِي الدُّعَاءِ وَالذَّبْحِ وَالالْتِجَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَإلاَّ فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدٌ تَحْتَ قَهْرِ اللهِ ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ ، وَلكِنْ دَعَوْهُمْ وَالتَجَأُوا إلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ ، وَهذا ظَاهِرٌ جداً .

📌 ذكر المصنف رحمه الله شُبهة أخرى لهم وأنه يقول أحدهم :

🔴 (أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلاَّ اللهَ ، وَهذا الالْتِجَاءُ) إلى الصالحين (وَدُعاؤُهُمْ لَيْسَ) عبادة لهم .

🔵 وبينّ إبطالَ هذه الشُّبهة بأمور أربعة مرتبة تواليًا :

1️⃣ 🔷 أولها : تقرير المُشَبِّه أن الله أمره بعبادته ، أي حَمْله على الإقرار بأنه مأمور بجعل العبادة لله ، وأن الله فرض عليه ذلك .

2️⃣ 🔷 وثانيها : بيان حقيقة العبادة له الواردة في قوله : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] ، فإن الله أمرَ بأن يكون التوجه إليه بالدعاء ، وأنه لا يتوجّه إلى غيره ، والدعاء يقع اسماً للعبادة كلّها ، فقوله تعالى ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾

👈هو بمنزلة قولنا اعبدوا ربكم تضرعاً وخفية ، فهو يقع على العبادة كلها ، بأن يكون الدعاء لله والذبح لله والنذر لله والاستغاثة بالله .

3️⃣ 🔷 وثالثها : إيضاح أن مَنْ جعل شيئاً منها لغير الله فقد أشرك ، فإذا بينت له حقيقة العبادة أعلمته بأن التقرب بواحدة من تلك القرب إلى غير الله 👈هو شرك ، فمن جعل القربة لله وحده كان من أهل التوحيد ، ومن جعل القربة لله ولغيره كان من أهل الشرك والتنديد .

4️⃣ 🔷 ورابعها : تحقيق أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن كانت عباداتهم لمألوهاتهم الدعاء والذبح والنذر والالتجاء ، ومآل هؤلاء الأربع : أن يُقرّ بأن الالتجاء إلى الصالحين عبادةٌ شركية ؛ لأن الله أمره بأن يكون التجاؤه إليه ، والتجاؤه إلى الله عبادة ، وإذا جعل العبادة لغير الله وقع في الشرك ، فتبينّ له بهذه الحجة التوحيدية على وجه التدلي أن منتهى قوله إلى الجزم بأن ما يقع فيه هو شرك وعبادة لغير الله .

فَإِنْ قَالَ : أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرأُ مِنْهَا؟

فَقُلْ : لاَ أُنْكِرُهَا ولا أَتبرَّأُ مِنْهَا ؛ بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ فِي الحَشْرِ وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ ، وَلكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لله ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُل للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٤٤] ، ولا تَكُونُ إلا بَعْدَ إِذْنِ الله ؛ كَمَا قَالَ تعَالَى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ولا يشْفَعُ فِي أَحَد إِلاَّ بعْدَ أَن يأْذَنَ اللهُ فِيه ، وَلاَ يَأذَنُ إِلاَّ لأَهْلِ التَّوْحِيدِ والإخْلاص ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وَهُوَ لا يَرْضَى إِلاَّ التَّوْحِيدَ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لله ، وَلاَ تَكُونُ إِلاَّ بَعْدَ إِذْنِه ، وَلاَ يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلاَ غَيْرُهُ فِي أَحَد حَتَّى يَأْذَنَ اللهُ فِيه ، وَلاَ يَأْذَنُ إِلا لأَهْلِ التَّوْحِيدِ = تَبَينَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لله وَأَنَا أَطْلُبُهَا مِنْهُ ، فَأَقُولُ : اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ ، وَأَمْثَال هَذَا .

فَإِنْ قَالَ : النَّبيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ؟

فَالجَوَابُ : أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ ، وَنَهَاكَ أَنْ تَدعُوَ مَعَهُ أَحَدًا وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، وَطَلَبُكَ مِنَ اللهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةٌ ، وَاللهُ نَهَاكَ أَنْ تُشْرِكَ فِي هذه العِبَادَةِ أَحَدًا ، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فِيكَ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] .

وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ ، فَصَحَّ أَنَّ المَلاَئِكَةَ يَشْفَعُونَ ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ ، أَتَقُولُ : إِنَّ اللهَ أَعْطَاهُمُ الشَّفَاعَةَ فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا وَجَوَّزْتَ دُعَاءَ هؤلاء رَجَعْتَ إِلَى عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ .
وَإِنْ قُلْتَ : لاَ ، بَطَلَ قَوْلُكَ : أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ .

📌ذكر المصنف رحمه الله من الدعاوى التي يتعلق بها المشبِّهون في باب توحيد العبادة زعْمهم أن الداعين إلى توحيد الله في الالتجاء ينكرون شفاعة النبي ﷺ ، وأهل السُّنة والحديث لا ينكرون شفاعته ﷺ ويعتقدون أن الله خصه بما خصه منها من الشفاعات التي لا تكون لغيره .

🔶لكنهم يقولون إن الشفاعة ليست ملكاً للرسول ﷺ وأنها ملكٌ لله وحده ، فهو الذي أنعم بها على رسوله ﷺ ، والذي أنعم بها على رسوله ﷺ ، فآمنتُ بإثبات الشفاعة للنبي ﷺ فيما يشفع فيه ، نهاني أن اسأل الرسول ﷺ تلك الشفاعة ، وأمرني أن يكون سؤالي الشفاعة هو لله تعالى وحده .

✅وسؤال الله شفاعة النبي ﷺ نوعان :

1️⃣ أحدهما : امتثال المأمورات المحققة شفاعته ﷺ ، مما شُرع لنا 📎 كالذِّكْر الوارد بعد الأذان (اللهم رب هذه الدعوة التامة . .) إلى آخره ، فإن الصادق المصدوق ﷺ أخبر أن مَنْ سأل الله له الوسيلة حلَّت له شفاعة النبي ﷺ .

2️⃣ والآخر : دعاء الله شفاعته ﷺ بأن يقول : (اللهم شَفِّعْ فيّ نبيك محمداً ﷺ) أو يقول (اللهم اجعل محمداً ﷺ شفيعاً) ، فهذا من جملة ما يدعو به العبدُ ربه ، وهو من دعاء الله وحده .

🔷وكره بعض السلف هذا الدعاء؟ لماذا كرهوه؟

الجواب : مورد من كرهه من السلف ما يوهمه من نقص العبد في حاله بمواقعته الخطيئات .

والصحيح : أنه لا يكره .

🔷 لأن الشفاعة تُطلَب لأمرين :

1️⃣ أحدهما : دفع النقائص والآفات .

2️⃣ والآخر : تحصيل الرتب والكمالات .

📝فلا يلزم أن يكون الداعي بالشفاعة متلطخاً بالخطيئات ، فقد يكون رجلاً صالحاً من أهل الحسنات لكنه يدعوا بهذه الشفاعة لتحصيل المراتب العالية والكمالات الغالية .

📌ثم ذكر المصنف أنه إذا زعم هذا المُشَبِّه أن النبي ﷺ أُعطي الشفاعة ، وأنه يطلبه مما أعطاه الله ، فجوابه من وجهين :

1️⃣ أحدهما : أن ما ذكرته من إعطاء الله رسوله ﷺ الشفاعة حق ، لكن الذي أعطاه الشفاعة نهاني أن اسأل النبي ﷺ الشفاعة ، وكما أطعت الله في التصديق في شفاعته ﷺ ، وجب علي أن أطيع الله في عدم سؤال النبي ﷺ الشفاعة .

2️⃣ والآخر : أن الشفاعة التي أُعطيها النبي ﷺ صحّ أن غيره أُعطيها ، فالملائكة يشفعون ، والشهداء يشفعون ، والأفراط – يعني الأطفال الذين يموتون صغارا– يشفعون ، فهؤلاء كلهم يشفعون عند الله سبحانه وتعالى ، وكلهم أعطاهم الله عز وجل الشفاعة ، فالحكم في سؤال شفاعة النبي ﷺ كالحكم في سؤال شفاعتهم .

◽ فإذا كان هؤلاء لا يُسألون الشفاعة وهم قد أعطوها ، فإن النبي ﷺ الذي أعطي الشفاعة لا يُسألها أيضا .

◼ وإن زعم هذا المُشَبِّه أن هؤلاء أُعطوا الشفاعة وأنه يسألهم إياها أيضا فهذا قد أقر على نفسه بالشرك ، فإذا قال إن الملائكة يُدعَون بشفاعتهم والأفراط يدعون بشفاعتهم وأن الصالحين يدعون بشفاعتهم ، فهذا قد شهد على نفسه بالشرك ، فلم يكن دعاؤه النبي ﷺ صدقاً في دعوى أن الله أعطاه الشفاعة ، فإنه لا يجعلها له وحده ، بل يجعلها له ولغيره ، وهذا 👈 شرك الدعاء .

وإن قال إن هؤلاء لا يدعون ولا تسأل منهم الشفاعة ، قيل فكذلك النبي ﷺ لا يُدعى ولا يسأل الشفاعة ؛ لأن الباب واحد .

فَإِنْ قَالَ : أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً حَاشَا وَكَلاَّ ، وَلَكِنَّ الالْتِجَاءَ إِلى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ .

فَقُلْ لَهُ : إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مِن تحْرِيمِ الزِّنَا ، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ ، فَمَا هذا الأَمْرُ الَّذِي عَظَّمَهُ اللهُ وَذَكَرَ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ؟ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي .

فَقُلْ لَهُ : كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِنَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لاَ تَعْرِفُهُ؟
كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هذا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ وَلا تَسْأَلُ عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ هذَا التَّحْرِيمَ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!

فَإِنْ قَالَ : الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ ، وَنَحْنُ لا نَعْبُدُ الأَصْنَامَ .

فَقُلْ لَهُ : ما مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟
أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَحْجَارَ وَالأَخْشَابَ والأَشْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرْزُقُ وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهذَا يُكَذِّبُهُ القُرْآنُ .

وإِنْ قالَ : إِنَّهُم يَقْصِدُونَ خَشَبَةً ، أَوْ حَجَرًا ، أَوْ بُنْيَةً على قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ ، يَدْعُونَ ذَلِكَ وَيَذْبَحُونَ لَهُ يَقُولُونَ : إِنَّهُ يُقَرِّبُنا إِلَى اللهِ زُلْفَى ، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللهُ بِبَرَكَتِهِ وَيُعْطِينا بِبَرَكَتِهِ .

= فَقُلْ : صَدَقْتَ ، وهذا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ وَالبِنَا الَّذِي عَلى القُبُورِ وَغَيْرِهَا ، فَهذا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُم هذا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَهُوَ المطْلُوبُ .

وَأَيْضَاً : قَوْلُكَ الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهذَا ، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلى الصَّالِحِينَ وَدُعَاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ؟
فَهذا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَى الملائِكَةِ أَوْ عِيسَى أَوِ الصَّالِحِينَ .

فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِن الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ المَذْكُورُ فِي القُرْآنِ وَهذا هُوَ المَطْلُوبُ .

📌ذكر المصنف رحمه الله شُبهة أخرى لهؤلاء : وهو أنهم يدّعون البراءة من الشرك ، ويقولون : إن (الالْتِجَاءَ إِلى الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ) ،

👈ودفْع هذه الشُّبهة بجواب المشبِّه بأن يقال له : (إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظمَ من تَحْرِيمِ الزِّنَا ، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لا يَغْفِرُهُ) ، فما هو هذا الشرك الذي تدّعيه ، فإذا كان ينفي الشرك عن نفسه ولا يعرف حقيقته ، فإنه كاذب في دعواه ، لأن براءة أحد من شيء لا تكون صدقاً إلا إذا كان يعرفه ، فإذا كان يجهله ويدعي البراءة فيه فهو كاذبٌ في دعواه ،

👈فحينئذ قل له : (كَيفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ منَ الشِّرْكِ وَأَنْتَ لاَ تَعْرِفُهُ؟) ، أي بأي شيء تزعم هذه الدعوى في البراءة من الشرك ، وأنت لا تدري حقيقة الشرك التي تنفيها عن نفسك .

👈ثم اسأله مستنكراً : (كَيْفَ يُحرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هذَا وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُهُ وَلا تَسْأَلُ عَنْهُ ولا تَعْرِفُهُ ، أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ هذَا التَّحْرِيمَ وَلا يُبَيِّنُهُ لَنَا؟) ، لأن ما حرَّمه الله فقد تكفل ببيانه ، ليتهيأ للخلق الانزجار عنه وتركه ، فإن ترك المنهيات لا يقدر عليه إلا بمعرفتها ، فمن عرفها فقمين أن يقدر على تركها ، وأما من لا يعرف حقيقتها فهو لا يدري ما يترك ويذر منها .

🔘وإن زعم المُشَبِّه أن الشرك هو عبادة الأصنام قاصداً حصر الشرك في عبادتها ، وأنه هو لا يعبد الأصنام فجاوبه بما يدحض شبهته وينسف باطله ، 💠بإيراد سؤالين عليه :

1️⃣ أحدهما : أن تقول له : (ما مَعْنَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟) أي التي حصرْت الشرك فيها (أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَخْشَابَ والأَحْجَارَ تَخْلُقُ وَتَرزُقُ وَتُدبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟)

🔶 فإن قال : نعم ، فهذا يردّه القرآن ويُكذِّبه ، فإنهم لم يكونوا يعتقدون هذا في آلهتهم المعظمة .

🔶 وإن قال : هو مَنْ قصد (خَشَبَةً ، أَوْ حَجَرًا ، أَوْ بُنْيَةً على قَبْرٍ أَوْ غَيْرِه) يدعو له ، ويذبح له ، وينذر له ويقول : (إِنَّهُ يُقَرِّبُنا إِلَى اللهِ زُلْفَى ، وَيَدْفَعُ عَنَّا اللهُ بِبَرَكَتِه) أو (يُعْطِينَا بِبَرَكَتِه) وأن هذا تفسير عبادتهم الأصنام ، فقل : صدقت ، وهذا هو الذي ذكرته هو بعينه ما وقعتم فيه مع مُعَظَّمِيكم ، فإنكم تتوجهون إليهم بما تتوجهون إليهم من دعاء وذبح ونذر ، لاعتقادكم فيهم النفع والضر بجعل تلك القرب لهم .

2️⃣ والآخر : أن يقال له : (قَوْلُكَ : الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بهذَا) أي محصورٌ في عبادتهم ، وأن غيره ليس شركاً (وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَى الصَّالِحِينَ) والأنبياء والملائكة ودعاءهم والتعلق بهم لا يدخل في هذا ولا يكون شركا؟

🔶فإن أقرَّ بهذا ، فإنه قد أقرّ على نفسه بالشرك ، فإن الله سبحانه وتعالى سمّاه شركاً ، وإن زعم أن هذا ليس بشرك فإن القرآن يكذّبه ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل دعاء أولئك عبادةً ، فقال سبحانه وتعالى في سورة الأحقاف ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ فسمى دعاءهم عبادة ، فالقرآن يبطل دعواهم بأنه ليس بعبادة .

وَسِرُّ المَسْأَلَة : أنَّهُ إذا قَالَ : أَنَا لا أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا .
فقُلْ لَهُ : ومَا الشِّرْكُ باللهِ؟ فَسِّرْه لِي؟
فَإنْ قال : هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَام .
فَقُلْ لَهُ : وما عِبَادَةُ الأَصْنَام؟ فَسِّرْهَا لِي .
وإنْ قَال : أَنَا لاَ أَعْبُدُ إلاَّ الله .
فَقُلْ : ما مَعْنَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؟ فَسِّرْهَا لِي .
فَإنْ فَسَّرهَا بِمَا بَيَّنْتُهُ فَهُوَ المَطْلُوبُ ، وَإنْ لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لا يَعْرِفُهُ .
وَإنْ فَسَّرَهَا بِغَيْرِ مَعْنَاهَا ؛ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَى الشِّرْكِ بِاللهِ ، وعِبَادَةِ الأَوْثانِ ؛ أَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هذا الزَّمَانِ بِعَيْنِه .
وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ الَّتِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا وَيَصِيحُونَ مِنْهُ ، كَمَا صَاحَ إخْوَانُهُم حَيْثُ قَالُوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

📌بيّن المصنف رحمه الله بعد ما تقدَّم سر المسألة ، يعني الأصل الذي يجمعها وترجع إليه ، فأعاد جواب شُبهة أن الشرك عبادة الأصنام على سبيل اللفّ بعد النشر- 👈أي : على سبيل الطيّ الجُمَل بعد الإيضاح المفصّل ، فضم مُتفَرِّق جوابه بعد بسطه ، وحاصل الجواب عن تلك الشّبه الثلاث التي تقدمت أن المشبه له فيها ثلاث أحوال :

1️⃣ الحال الأولى : أن يتوقف ، ويمسك عن الجواب ، بعد إيرادك ما أوردت عليه من الحجج ، فقل له : أنت لا تعرف الحق من الباطل ، وهذا كاف في إبطال دعواه . 🔻 وهذه حال كثير مَنْ يتعلق بالصالحين ويتوجه إليهم ، فإنه لا يدري حقيقة الشرك ولا حقيقة العبادة ، ويظنّ أن الشرك هو عبادة الأصنام فقط .

2️⃣ والحال الثانية : أن يفسرها بما فسَّرها الله به في القرآن ، وهذا قد كفانا مؤنته ؛ لأن الشرك في القرآن لا ينحصر في عبادة الأصنام .

3️⃣ وثالثها : أن يفسرها بمعنى باطل يخالف ما أخبر الله به ، فتُبينّ له الآيات الواضحات في معنى الشرك وعبادة الأوثان ، وأنه هو هذا الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة الله هي توحيده بإفراده بالعبادة ، وهي التي يُنكرها من ينكرها على دعوة الحق ، ويصيح على دعاته تنفيراً وتحذيراً منهم ، كما قال مُتَقَدِّموهم في إنكار التوحيد لما دعاهم الرسول ﷺ إليه : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] ، وكل قوم لهم وارث ، فدعاوى كفّار قريش في الشرك ورثها عنهم من ورثها في هذه الأمة ممن ينتسبون إلى الإسلام .

💎وهذه الحقائق التوحيدية في بيان التوحيد والشرك ، والفصل بين عبادة الله وعبادة غيره ، لا تتغرغر بها القلوب حلاوة بقدر ما تتغرغر بها إذا وعت ما في القرآن الكريم من بيان التوحيد والشرك ، فإنك مهما طالعت في مدونات التوحيد لا يكون لك من البيان والمعرفة بالتوحيد والشرك كما يكون لك إذا وعيْت معاني ما جاء من الآيات القرآنية في بيان التوحيد والشرك ، وبيان حال أهل التوحيد وحال أهل الشرك .

💡فمن أراد أن ترسخ قدمه في معرفة التوحيد فلا غنى له بعد تشييد قواعده بالتلقي من إمعان النظر وتكراره في آيات التوحيد والشرك في القرآن الكريم ، فإنه يظهر له من حججه وبيّناته ما يثبت به توحيده هو أولاً ، ثم ما يدفع به شبهات المشبهين بالشرك ، وتقوى به دعوته في التوحيد بين العالمين .

فَإِنْ قَالَ : إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُواْ بِدُعَاءِ المَلاَئِكَةِ والأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّمَا كَفرُواْ لَـمَّا قَالُواْ : المَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ : إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ ولاَ غَيْرَهُ ابْنُ اللهِ .

فَالجَوَابُ : أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَى اللهِ تَعَالَى كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۝ اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص : ١-٢] ، وَالأَحَدُ :الَّذِي لاَ نَظِيرَ لَهُ ، والصَّمَدُ : الـمَقْصُودُ فِي الحَوائِجِ ، فَمَنْ جَحَدَ هذا فَقَدْ كَفرَ ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ . ثُمَّ قَالَ تَعالَى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص : ٣] ، فَمَنْ جَحَدَ هذا فَقَدْ كَفرَ ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَوَّلَ السُّورَةِ .

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ ، وَجَعَلَ كُلاً مِنْهُمَا كُفْراً مُسْتَقِلاً .
وَقَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ ﴾ [الأنعام : ١٠٠] ، فَفَرَّقَ بَيْنَ الكُفْرَيْنِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى هذا أَيْضًا : أَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِدُعَاءِ اللَّاتِّ - مَعَ كَوْنِهِ رَجُلاً صَالِحًا - لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ ، وَالذِينَ كَفَرُواْ بِعِبَادَةِ الجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ العُلَمَـاءُ أَيْضاً فِي جَمِيعِ المَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ المُرْتَدِّ : أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ للهِ وَلَداً فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ ، وَهذَا فِي غَايَةِ الوُضُوحِ .

وَإِنْ قَالَ : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] .

فَقُلْ : هذا هُوَ الحَقُّ ، وَلَكِنْ لاَ يُعْبَدُونَ ، وَنَحْنُ لاَ نُنْكِرُ إِلاَّ عِبَادَتَهُمْ مَعَ اللهِ ، وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ ، وَإِلاَّ فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ ، وَاتِّبَاعُهُمْ ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ ، وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلاَّ أَهْلُ الْبِدَعِ والضَّلاَلاَتِ ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ، وَهُدىً بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ .

📌ذكر المصنف رحمه الله في هذه الجملة من مجادلات المُشَبِّهين قولهم : إن مشركي العرب (لَمْ يَكْفُرُواْ بِدُعَاءِ المَلاَئكَةِ والأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّمَا كَفَرُواْ لَـمَّا قَالُواْ : المَلاَئكَةُ بَنَاتُ الله) ونحن لم نقل : (إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ وَلاَ غَيْرَهُ ابْنُ الله) والمراد بعبد القادر ، عبدالقادر الجيلاني رحمه الله ، أحد صالحي الحنابلة الذين كان لهم من الصلاح والولاية ما ليس لغيره ، حتى قال ابن تيمية الحفيد إنه لم يأتي بعد الصدر الأول رجل له من الكرامات كما وقع لعبدالقادر الجيلاني ، ثم غلا فيه من غلا فيه ، حتى عبده من دون الله سبحانه وتعالى .

💠 وجواب باطلِهم من أربعة وجوه :

1️⃣ أولها : (أَنَّ نِسْبَةَ الوَلَدِ إِلَى الله كُفْرٌ مُسْتَقِلٌّ ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿قُلْ هُوَ اللهٌ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص : ١]) وقال تعالى : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص : ٣] فمَنْ جعل له ولداً فهو كافر لتكذيبه بالآيتين ، وما في معناهما .

2️⃣ وثانيها : أن الله فرَّق بين نوعين من الكفر : عبادة غيره ونسبة الولد إليه ، (وَجَعَلَ كُلاً مِنْهُمَا كُفْراً مُسْتَقِلاً) ، فقال : ﴿وَجَعَلُوا للهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللهٌ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَه ﴾[المؤمنون : ٩١]) ، (فَفَرَّقَ بَيْنْ الكُفْرَيْنِ) في الآيتين .

3️⃣ وثالثها : (أَنَّ الذِينَ كَفَرُواْ بِدُعَاءِ الَّلاتِّ- مَعَ كَوْنِهِ رَجُلاً صَالِحًا- لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ الله) ، وكذلك الذين كفروا بدعاء الجن لَمْ يَجْعَلُوهُم كَذَلِكَ) . فإنه وإن كان في العرب مَنْ يزعم أن الجنّ أبناء الله ففيهم أيضاً من يدعوهم ولا يزعم أن الجنّ أبناء الله .

4️⃣ ورابعها : أن العلماء في جميع المذاهب الأربعة الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة (يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حُكْمِ المُرْتَدِّ : أَنَّ المُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ للهِ وَلَداً فَهُوَ مُرْتَدٌّ ، وَأَنَّه إذا أَشْرَكَ باللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ) ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنْ النوعين .

👈فهذه الوجوه الأربعة تُبطل مقالتهم بدعوى أن أولئك نسبوا الإبن إلى الله ، ونحن لا ننسب هؤلاء الصالحين إلى كونهم أبناء لله عزوجل .

📌فإن قال بعد ما تقدم : ﴿ أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢]
يُعرِّض بذلك لما للأولياء من مقام كريم عند الله سبحانه وتعالى

👈فقل مبيّناً قدرهم : هذا هُوَ الحَقُّ فلا يُرفَعون فوق قدرهم فيُعبَدون ، ولا يُخفضون دون حقهم فيُهضَمون ، فالمنكر الباطل عِبَادَتُهُمْ مَعَ اللهِ ، والمعروف الحق حُبُّهُمْ وَالإِقْرَارُ بفضلهم ، وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلاَّ أَهْلُ الْبِدَعِ والضَّلاَلاَتِ .

💠فنعرف ما لله من حق وما للأولياء من حق ، فحق الله عبادته وحده ، وحق الأولياء محبتهم وإجلالهم ومعرفة فضلهم ، وهذا دين الله عز وجل كما قال المصنف : (وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ ، وَهُدىً بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ) ، فالولي لا يرفع فوق قدره فيجعل رباً يعبد ، ولا يخفض دون قدره فينكر ما له من القدر والمزية والرتبة .

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ هذا الَّذي يُسَمِّيهِ المُشْرِكُونَ في زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ ، هُوَ الشِّرْكُ الَّذي أُنْزِلَ فيه القُرْآنُ ، وَقَاتَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ وَقْتِنَا بِأَمْرَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الأَوَّلِينَ لا يُشْرِكون وَلا يَدْعُونَ المَلائِكَةَ أو الأَوْلياءَ أو الأَوْثَانَ مَعَ اللهِ إلاَّ في الرَّخَاءِ ، وَأَمَّا في الشِّدَّةِ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ للهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦٥] ، وَقَالَ تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٦٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام : ٤٠] إلى قوله : ﴿ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام : ٤١] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر : ٨] الآيَةُ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ ﴾ [لقمان : ٣٢] .

فَمَنْ فَهِمَ هذه المَسْأَلَةَ الَّتي وَضَّحَهَا اللهُ في كِتَابِهِ ؛ وَهِيَ أَنَّ المُشْرِكِينَ الَّذينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ في الرَّخَاءِ ، وَأَمَّا في الشِّدَّةِ فَلا يَدْعُونَ إلاَّ اللهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ = تَبَيَّنَ لَهُ الفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هذه المَسْأَلَةَ فَهْماً رَاسِخًا؟! وَاللهُ المُسْتَعَانُ .

وَالأَمْرُ الثَّاني : أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ اللهِ ؛ إِمَّا نَبِيًّا ، وَإِمَّا وَلِيًّا ، وَإِمَّا مَلائِكَةً ، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وَأَشْجَارًا مُطِيعَةً للهِ تَعَالَى لَيْسَت بِعَاصِيَةٍ ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُمُ الفُجُورَ مِنَ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .
وَالَّذِي يَعْتَقِدُ في الصَّالِحِ وَالَّذي لا يَعْصِي - مِثْلِ الخَشَبِ وَالحَجَرِ - أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهِدُ فِسْقَهُ وَفَسَادَهُ وَيُشْهَدُ بِهِ .

📌 ذكر المصنف رحمه الله أن العبد إذا عرف أَنَّ هذا الَّذي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ في زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ وهو تأله قلوبهم لمُعَظَّميهم من الخلق هُوَ الشِّرْكُ الَّذي أُنْزِلَ فِيْهِ القُرْآنُ ، وَقَاتَل عليه رسول الله ﷺ الناس ،

✅ فإنه يوجد فرقان عظيمان بين شرك الأوّلين وشرِك المتأخرين :

1️⃣ فالفرق الأول :

🔺 أن الأوّلين يشركون بالله في الرخاء ويخلصون له في الشِّدة ،

🔻 أما المتأخرون فإنهم يشركون بالله في الرخاء والشدة ، فشركهم أقبح وأسوأ حالاً .

2️⃣ والفرق الثاني :

🔺 أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ من الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، أو يدعون أشجاراً وأحجاراً ليست عاصية ،

🔻 وأما المتأخرون فإنهم يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مَنْ يُحكَى عنهم الفسق و الفجور فيعَظِّمونهم ويتوجهون إليهم بأنواع القرب مع مشاهدتهم فجورهم وفسقهم لأنهم يطلبون دفع شرهم عنهم ، فإنهم يعتقدون أن لهم قدرة على الضرّ والنفع ، فيتقربون إليهم بما يتقربون به من ذبح ونذر ، لأجل دفع شرهم عليهم .

👈فشرك المتأخرين اسوأ من شرك المتقدمين من هذه الجهة أيضا ، وسيأتي في شرح القواعد الأربع البيان الوافي للفرق بين شرك الأولين والمتأخرين .

إِذَا تحقَّقْتَ أَنَّ الَّذينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصحُّ عُقُولاً ، وَأَخفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلاءِ ، فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاءِ شُبْهَةً يُوردُونَهَا عَلَى مَا ذَكَرْنَا وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ ، فَأَصْغِ سَمْعَكَ لجَوَابِهَا .

وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ لاَ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَيُنْكِرونَ البَعْثَ ، وَيُكَذِّبُونَ القُرْآنَ وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا ، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَنُصَدِّقُ القُرْآنَ ، وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ ، وَنُصَلِّي وَنَصُومُ ، فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أُولَئِكَ؟

فَالجَوَابُ : أَنَّهُ لاَ خِلافَ بَيْنَ العُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ وَكَذَّبَهُ فِي شَيْءٍ ، أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسلامِ .

وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ القُرْآنِ وَجَحَدَ بَعْضَهُ ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوحِيدِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلاَةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّوْمِ ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الحَجِّ .

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ البَعْثَ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ وَحَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [النساء : ١٥٠] ، فَإِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَى قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ حَقًّا زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ .

وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا .

وَيُقَالُ : إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاةِ فَهُوَ كَافِرٌ حَلالُ الدَّمِ وَالمَالِ بِالإِجْمَاعِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ البَعْثَ ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، لاَ يُجْحَدُ هَذَا ، وَلاَ تَخْتَلِفُ المَذَاهِبُ فِيهِ ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ القُرْآنُ كَمَا قَدَّمْنَا .

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الصَّلاَةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصَّوْمِ ، وَالحَجِّ ، فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ ؛ وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ - الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ - لاَ يَكْفُرُ؟ سُبْحَانَ اللهِ! مَا أَعْجَبَ هَذَا الجَهْلَ!

وَيُقَالُ أَيْضًا لِهَؤُلاءِ : أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَيُصَلُّونَ وَيُؤَذِّنُونَ .

فَإِنْ قَال : إِنَّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ مُسَيْلمَةَ نَبيٌّ .

قُلْنَا : هَذا هُوَ المَطْلُوبُ ؛ إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلاً فِي رُتْبَةِ النَّبيِّ ﷺ كَفرَ وحَلَّ مَالُهُ ودَمُهُ ، ولَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَان ولاَ الصَّلاَةُ ، فَكَيْفَ بمَنْ رفَعَ شَمْسَان أوْ يُوسُفَ أَوْ صَحابيًّا أَوْ نَبيًّا أَوْ غَيرِهِـمْ فِي مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ؟! سُبْحَانَه! مَا أعْظَمَ شَأْنَهُ! ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم : ٥٩] .

وَيُقَالُ أَيْضًا : الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَليُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وَتَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَليٍّ مِثلَ الاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ وشَمْسَانَ وَأَمْثَالِهِمَا ، فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَتْلِهِمْ وكُفْرِهِمْ؟!

أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرونَ الـمُسْلِمِينَ؟! أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَادَ فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لاَ يَضُرُّ ، وَالاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟!

وَيُقَالُ أَيْضًا : بَنُو عُبَيد القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلَكُوا المَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَنِ بَنِي العَبَّاسِ ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، ويَدَّعُونَ الإِسْلاَم ، وَيُصَلُّونَ الجُمُعَةَ وَالجَمَاعَةَ ، فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُونَ مَا نَحْنُ فِيهِ ، أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى كُفْرِهِمْ وقِتَالِهِمْ ، وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلاَدُ حَرْبٍ ، وَغَزَاهُمُ الـمُسْلِمُونَ حَتَّى اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الـمُسْلِمِينَ .

وَيُقَالُ أَيْضًا : إِذَا كَانَ المُشْرِكُونَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلاَّ لأَنَّهُم جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ ﷺ وَالقُرْآنِ وَإِنْكَارِ البَعْثِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَمَا مَعْنَى البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ : بَابُ حُكْمِ المُرْتَدِّ - وَهُوَ المُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلامِه - ثُمَّ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ كَثِيرةً ، كُلُّ نَوعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ ، حَتَّى إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرةً - عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا - ، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دُونَ قَلْبِهِ ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ .

وَيُقَالُ أَيْضًا : الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] ، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ ؛ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ ، وَيُزَكُّونَ ، وَيَحُجُّونَ ، وَيُوحِّدُونَ اللهَ .

وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ : ﴿ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة : ٦٥-٦٦] ، فَهؤُلاَءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوك ، قَالُوا كَلِمَةً ذَكَرُوا أَنَّهُم قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ المَزْحِ .

فَتأمَّلْ هَذه الشُّبْهَة وَهي قَوْلُهم : تُكفِّرُونَ الـمُسْلمين ؛ أُناسًا يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ ، ويُصلُّونَ ، ويَصُومُونَ ، ويَحُجُّونَ ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جوابَها فَإنَّهُ منْ أَنْفَعِ ما في هَذِه الأَوْراقِ .

وَمِنَ الدَّليلِ عَلَى ذَلكَ أَيْضًا : ما حكَى اللهُ عَنْ بَني إِسْرَائيلَ - مَعَ إِسْلامهم وَعِلْمهم وَصَلاحِهِمْ - أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلهًا ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، وَقَالَ أُنَاسٌ منَ الصَّحَابَةِ : «اجْعَلْ لَنَا يا رَسُولَ الله ذَاتَ أَنْواطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ» ، فَحَلَفَ رَسولُ الله ﷺ أَنَّ هَذَا مثْلُ قَوْلِ بَني إِسْرَائيلَ لِـمُوسَى : ﴿ أجعل لنا ألها ﴾ .

وَلَكنْ لِلْمُشْرِكينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذه القِصَّة ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ بَني إِسْرَائيلَ لَمْ يَكْفُرُوا بِذَلِكَ ، وَكَذَلكَ الَّذينَ سَأَلُوا النَّبيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ ذَاتَ أَنْواطٍ لَمْ يَكْفُرُوا .

فَالجَوَابُ : أَنْ تَقُولَ : إِنَّ بَني إِسْرَائيلَ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ ، وَكَذَلكَ الَّذينَ سَأَلُوا النَّبيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلكَ ، وَلاَ خِلاَفَ أَنَّ بَني إِسْرَائيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلكَ لَكَفَرُوا ، وَكَذَلكَ لاَ خِلاَفَ أَنَّ الذينَ نَهَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ واتَّخَذُوا ذاتَ أَنْواطٍ بَعْدَ نَهْيِه لَكَفَرُوا ، وَهَذَا هُوَ المَطْلُوبُ .

وَلَكنَّ هَذه القِصَّةَ تُفيدُ أَنَّ الـمُسْلِمَ- بَلِ العَالِـمَ- قَدْ يَقَعُ فِي أَنْواعٍ منَ الشِّرْكِ لاَ يَدْرِي عَنْها ، فَتُفيدُ التَّعَلُّمَ والتَّحَرُّزَ ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الجَاهِلِ : التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ ، أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الجَهْلِ وَمَكَايِدِ الشَّيْطَانِ .

وَتُفيدُ أَيْضًا : أَنَّ المُسْلِمَ المُجْتَهِدَ الَّذي إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلامٍ كُفْرٍ ، وَهُوَ لا يَدْرِي ؛ فَنُبِّهَ عَلى ذَلِكَ وَتَابَ مِن ساعَتِه ، أَنَّه لاَ يَكْفُرُ ؛ كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرائيلَ ، وَالَّذينَ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ .

وَتُفيدُ أيضًا : أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغلَّظُ عَلَيْه الكَلاَمُ تَغْليظًا شَديدًا ؛ كَمَا فَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ .

📌لما فرغ المصنف رحمه الله من إبطال الشُّبَه المتعلقة بدعاوى مَنْ يزعم أن تلك الأفعال ليست شِركاً كَرَّ على شُبَه مَنْ يزعم أن أولئك وإن وقعت منهم تلك الأفعال الشركية فإنهم لا يكفرون ولا يقاتلون .

💠فالشُّبَه المذكورة في هذا الكتاب المراد إبطالها ترجع إلى أصلين :

1️⃣ 🔷 أحدهما : شُبَه يراد بها أنّ ما عليه المتأخرون ليس بشِرك .

2️⃣ 🔷 والآخر : شُبَه يراد بها دفْع التكفير والقتال عن مَنْ فعل شيئاً من ذلك .

وهذه الجملة الطويلة المسلوكة في نسق واحد هي في إبطال الشُّبه المتعلقة بالأصل الثاني

👍وهي من أنفع ما في هذه الأوراق كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى ، فإن كثيراً من العلماء وافقوه رحمه الله على أن ما وقع فيه أولئك هو من الشِرك ، لكنهم امتنعوا عن تكفير أولئك وعن قتالهم .

✅فأراد المصنف رحمه الله أن يقيم من الحق ما يبدد ظلمات تلك الشبهات ، وأن ما وقعوا فيه من الشرك يستلزم تكفيرهم وقتالهم .

📌فذكر تحقيق ذلك من ثمانية وجوه :

1️⃣ أولها : هو أن مَنْ آمن ببعض الأحكام وكفر ببعضها فهو كافر بالجميع ، كمَنْ أقرَّ بالصلاة وأنكر الحج أو أنكر الصيام ، أو أقرَّ بالحج وأنكر الزكاة ، فإنه لا يُقبَل منه إيمانه ويكون كافراً لأنه آمن ببعض الدين وكفر ببعض الدين ، وإذا كان كذلك فمن آمن بالصلاة وكفر بالتوحيد فإنه كافر .

2️⃣ والوجه الثاني : إطباق العلماء ومنهم الصحابة على تكفير بعض مَنْ وقعت منهم أعمال الكفر وقتالهم على ذلك ، فهو استدلال بالإجماع العملي في تتابع العلماء على تكفير أولئك الذين وقع منهم ما وقع وقتالهم ،

🔷وذكر المصنف ثلاثة وقائع :

📎فالواقعة الأولى : واقعة الصحابة مع بني حنيفة ، فإنهم كانوا يصلّون ويصومون ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لكنهم كانوا يقولون إن مسيلمة نبي الله أيضاً ، فأكفرهم الصحابة وقاتلوهم على هذا .

🔶وإذا كان هذا كفراً يقاتل عليه إذا رُفع عبد إلى مرتبة النبوة بعد محمد ﷺ ، فكيف بمن رفع عبداً إلى مقام الله عز وجل فجعل له شيئاً من عبادته في دعاءه ورجاءه وتوكله وخوفه واستغاثته به ، فهو أحق بالكفر والقتال من مسيلمة وقومه .

👈💎وهذا وجه بديع من الفهم أبداه المصنف رحمه الله .

📎والواقعة الثانية : واقعة علي رضي الله عنه في تكفير الغالين فيه ، الزاعمين فيه ما زعموا له من الألوهية ، فأكفرهم رضي الله عنه وحرَّقهم بالنار ، ووافقه الصحابة على تكفيرهم ، ولم يخالفه أحد في ذلك ، وإنما خالفه من خالفه منهم كابن عباس في تحريقهم ، ورأوا أنّ حقهم هو قتلهم حداً بالسيف ، فهم يوافقونه في التكفير والقتل .

📎والواقعة الثالثة : واقعة العبيديين من أبناء عُبيد القدّاح ، لما نجم شرهم بأرض مصر حتى استولوا عليها وعلى وغيرها من البلدان ، وكانوا يتسمّون زوراً بالفاطميين ، ويدعون أنهم من ذرية فاطمة رضي الله عنها وليسوا كذلك ، ووقع منهم ما وقع مما يخالف حُكم الشرع ، 👈فأجمع العلماء على تكفيرهم ، ولم يختلفوا في ذلك ، ونقل إجماعهم جماعة منهم القاضي عياض اليحصبي ، فإنه نقل الإجماع على كفر أولئك . وصنَّف أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي كتاباً اسمه ((النصر على مصر)) ، يدعو فيه إلى تشريد هؤلاء وتطهير بلاد المسلمين منهم . 🔷فهذه الوقائع من الإجماع العملي تدل على أن من وقع في الكفر فإنه يكفر ويقاتل ، وإن زعم أنه مسلم ، فإن هؤلاء جميعاً كانوا يدّعون أنهم على الإسلام .

3️⃣ والوجه الثالث : أن العلماء في كل مذهب عقدوا باباً في كتاب الحدود يقال له : باب الردّة ، ذكروا فيه نواقض الإسلام . ومقصودهم من الباب أن من وقع بشيء من الكفر من قول ، أو فعل ، أو اعتقاد ، فقد انتقض إيمانه وصار مرتداً ، خارجاً من ملة الإسلام . 👈فمقصود الباب عندهم بيان ما يخرج به المسلم من دينه ، فإذا وقع فيه صار مرتداً كافراً ، وإن زعم أنه مسلم .

4️⃣ والوجه الرابع : أن الله حكم بكفر أناس لكلمة تكلموا بها كما قال تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة : ٧٤] فأكفرهم الله مع كونهم مع رسول الله ﷺ ويصلون ويصومون ويزعمون أنهم من أهل الإسلام .

5 والوجه الخامس : ما وقع من المستهزئين بالكلام في غزوة تبوك ، فأكفرهم الله عز وجل مع كونهم كانوا غزاة مع رسول الله ﷺ .

وتقدم بيان هذا في كتاب التوحيد .

6 والوجه السادس : أن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويكذّبون الرسول ﷺ . وهؤلاء المتأخرون يزعمون أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويصدقون الرسول ﷺ ، لكنهم يصدقونه في شيء ويكذبونه في شيء آخر ، فهم مثلاً يصدقونه ﷺ في إثبات الشفاعة له ، ويكذبونه ﷺ في إخلاص الدعاء لله وحده .

7 والوجه السابع : أن مَنْ جحد وجوب الحج كفر وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويصلي ، ويصوم ، كما وقع في سبب نزول هذه الآية ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] أن قوماً أقروا بالصلاة وغيرها ، ثم لمّا أمروا بالحج أبوا ، فنزلت الآية في كفرهم ، وهذا شيء تُروى فيه آثارٌ عن بعض التابعين ، وليس فيه شيء من المرفوع ، ولكن الآية دالة إتفاقاً على أن مَنْ جحد وجوب الحج فقد كفر .

فإذا كان هذا في حق مَنْ جحد شيئاً من دين الله دون توحيد الله ، فكيف بمن جحد توحيد الله ، وإن صام وصلى وزكى وحج .

8 والوجه الثامن : حديث ذات أنواط المروي عند الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، بإسناد صحيح ، وفيه أن بني إسرائيل وقع فيهم الكفر لما قالوا لموسى : ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، لمّا مرّوا على قوم لهم أصنام فابتغوا ذلك من موسى فنهاهم موسى عن ذلك وزجرهم ، ووقع نظيره في الذين كانوا مع النبي ﷺ في غزوة حُنين ، فمروا بشجرة عظيمة فسألوه أن يجعل لهم ذات أنواط أي شجرة ذات تعاليق ينوطون بها – أي يعلّقون بها أسلحتهم– ، فأخبر النبي ﷺ بأنهم وقعوا فيما وقع فيه أصحاب موسى ، وذكر قصة موسى مع أصحابه لما سألوه ما سألوه ، فارتكبوا فِعْلاً لم يشفع لهم الإيمان في دفْع الكفر عنهم لما سألوا ما سألوا ، فأخبر أن الذي سألوه هو من تأليه غير الله ، لكنهم لما نُهوا فكفوا لم يكفَروا بذلك .

وظاهر كلام المصنف هنا أن ما سأله الصحابة في قصة ذات أنواط هو من الشرك الأكبر ، وله في كتاب التوحيد ما يدل على أنه يرى أنه من الشرك الأصغر ، والجمع بينهما ممكن ، فيكون فيهم أفراد سألوا الشرك الأكبر ، ويكون فيهم أفراد سألوا الشرك الأصغر وكان هؤلاء من حدثاء العهد بالإسلام ، أما كبراء الصحابة وقدمائهم رضي الله عنهم فإن هذا لم يكن صادراً منهم .

ثم ذكر المصنف رحمه الله ثلاث فوائد من قصة ذات أنواط :

أولاها : الحذر من الشرك ، ومن عيون تراجم كتاب التوحيد التي تقدمت معنا (باب الخوف من الشرك) ، فالعبد مأمور أن يخاف من الشرك ويحذره .

وثانيتها : الإعلام بأن العبد إذا وقع منه شيء من الكفر من قول أو عمل ثم نُبِّه عليه ثم تاب من ساعته فإنه لا يكفر .

وثالثتها : أن مَنْ لم يكفر بكلمة الكفر إذا قالها جهلاً فإنه لا يُتساهَل معه ، بل يُغَلَّظ عليه في الإنكار ، كما غلَّظ موسى عليه السلام القول لأصحابه ، ثم غلَّظ محمد ﷺ القول لأصحابه . لشدة ما جاءوا به مما يتعلق بحق الله في التوحيد .

وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّهُم يَقُولُونَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ رضي الله عنه قَتْلَ مَنْ قَالَ : لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ ، وَقَالَ : «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ» ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» ، وكَذَلِكَ أَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا .

وَمُرَادُ هَؤُلاءِ الجَهَلَةِ : أَنَّ مَنْ قَالَهَا لا يَكْفُرُ ، وَلا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ .

فَيُقَالُ لِهَؤُلاءِ الجَهَلَةِ المُشْرِكِينَ : مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ اليَهُودَ وَسَبَاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَيُصَلُّونَ وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُم عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ .

وَهَؤُلاءِ الجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسلامِ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَهَا ، فَكَيْفَ لا تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الفُرُوعِ ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟ وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ :

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلاً ادَّعَى الإِسْلاَمَ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلاَّ خَوْفًا عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ . وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ ، وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ : ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء : ٩٤] الآيَةُ ؛ أَيْ تَثَبَّتُوا ، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الكَفُّ عَنْهُ وَالتَّثَبُّتُ ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلاَمَ قُتِلَ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] ، وَلَوْ كَانَ لاَ يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًى .

وَكَذَلِكَ الحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ ؛ مَعْنَاهُ : مَا ذَكَرْتُ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَالتَّوحِيدَ وَجَبَ الكَفُّ عَنْهُ ، إِلاَّ أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ الَّذِي قَالَ : «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؟» ، وَقَالَ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» = هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الخَوَارِجِ : «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُم ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ» ؛ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً تَكْبِيرًا وَتَهْلِيلاً ، حَتَّى إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَهُمْ ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا العِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ لا إِلَهَ إِلاّ اللهُ ، وَلاَ كَثْرَةُ العِبَادَةِ ، وَلاَ ادِّعَاءُ الإِسْلامِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ .

وَكَذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِن قِتَالِ اليَهُودِ ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ ﴾ [الحجرات : ٦] الآيَةُ ، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ .

فَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ الوَارِدَةِ : مَا ذَكَرْنَا .

📌ذكر المصنف رحمه الله شُبهة أخرى

🔻 وَهْيَ أَنَّهُم يَقُولُونَ : إنَّ النَّبِيَّ ﷺ أنْكرَ عَلَى أُسَامَةَ بن زيد رضي الله عنه قَتْلَه رجلاً قَالَ : لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ ، وقَالَ له : «أَقَتَلْتَه بَعْدَ مَا قَالَ : لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ» ،

🔻 وَكَذَلِكَ قَولُهُ ﷺ في الحديث الأخر : «أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ» ،

🔻 وكَذَلِكَ أَحَادِيثُ أُخْرَ في الْكَفِّ عَمَّنْ قالَها . وَمُرادُ هَؤلاءِ : أَنَّ مَنْ قَالَها لا يَكْفُرُ ، ولا يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ . .

✅ فبينّ المصنف أن القائلين بهذه الشبهة مكابرون لأربعة أمور :

1️⃣ أولها : أنهم يقولون هذا مع علمهم أن الرسول ﷺ قاتَلَ اليَهُودَ وَهُمْ يَقُولُونَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ .

2️⃣ وثانيها : أنهم يقولون هذا مع علمهم أن الصحابة رضي الله عنهم قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُصَلُّونَ ويَصومون .

3️⃣ وثالثها : أنهم يقولون هذا مع علمهم أن عَليٌّ رضي الله عنه حرق من حرق بِالنَّارِ وهم يقولون لا إله إلا الله ، وأنه لم يخالفه أحد من الصحابة في كفرهم وقتلهم ، وخالفه من خالفه في طريقة قتلهم .

4️⃣ ورابعها : أنهم يقولون هذا مع علمهم أن مَنْ أَنْكَرَ البَعْثَ كَفَرَ وَقُتِلَ وَلَوْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مَنْ أَنْكَرَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسلامِ فجحده ، كَفَرَ وَقُتِلَ ، فَكَيْفَ لا تَنْفَعُهُ إذا جَحَدَ شَيْئًا مِنْ الفُرُوعِ العملية للإسلام ، وإذا جحد أصله وهو التوحيد نفعته لا إله إلا الله .

📌ثم بين المصنف رحمه الله حقيقة الأمر فقال وَلَكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ ما فَهِمُوا مَعْنَى الأَحَادِيثِ ، فالأحاديث المذكورة يراد بها الإمساك عن مَنْ ثبتت له عصمة الحال .

✅فإن العصمة التي تكتنف العبد نوعان :

1️⃣أحدهما : عصمة الحال ؛ ويكفي فيها قول لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله كف عنه حالاً .

2️⃣والآخر : عصمة المآل ؛ والمراد بها : ثبوت دوام العصمة التي ثبتت له أولاً ، ولا يكفي فيها قول : (لا إله إلا الله) بل لا بد من حقوقها من القول والعمل .

💡 وبيان المسألة أن العبد إذا قال لا إله إلا الله عُصم دمه وماله وعرضه ، فإن التزم بما تقتضيه لا إله إلا الله من الاعتقاد الجازم والعمل اللازم بقيت له تلك العصمة التي ثبتت أولاً .

💡 وإن جاء بعد بما ينقض لا إله إلا الله أرتفعت عنه تلك العصمة التي ثبتت له أولاً ، فلا يبادر إلى رفع هذه العصمة حتى ياتي بما ينقضها ، فإذا قال لا إله إلا الله ثبتت له العصمة ، ثم تُبيّنّ في حاله وتُثُبّت هل هو ملتزم بحق لا إله إلا الله أم لا .

👈وهذا معنى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء : ٩٤] ، أي تثبّتوا في حق من قال لا إله إلا الله ، فإن من قالها يُكفّ عن قتاله ، فإن التزم بها ثبتت له العصمة ، وإن كان قالها باللسان دون اعتقاد جازم ولا عمل لازمٍ ، لم تبق تلك العصمة له .

📌ثم ذكر المصنف رحمه الله أربعة أدلة تدل على صحة فهْم الأحاديث وفْق ما تقدم :

1️⃣ أولها : أن النبي ﷺ الذي قال : «أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله» ، وقال : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو ﷺ الذي أمر بقتال الخوارج ، وهم يقولون : لا إله إلا الله ، ولهم من العبادة ما لهم ، صلاةً وصياماً وصدقة ، فأمر النبي ﷺ بقتالهم مع كونهم يقولون لا إله إلا الله ، فلم تدفع عنهم هذه الكلمة القتال .

واختلف في موجب قتالهم على قولين :

🔷أحدهما : أن موجبه الكفر ، وأنهم كفروا بما أتوا .

🔷والآخر : أن موجبَه الفسق ، الذي لا يُحسم شرّه إلا بقتاله .

👍والقول الثاني أصح ، لإجماع الصحابة على أنهم لم يكونوا كفاراً ، 💎نقله ابن تيمية الحفيد في منهاج السنة النبوية .

2️⃣ وثانيها : ما تقدم من قتال النبي ﷺ اليهود وهم يقولون (لا إله إلا الله) ، فقاتلهم النبي ﷺ وسبى نساءهم وذراريهم .

3️⃣ وثالثها : ما تقدم من قتال الصحابة بني حنيفة وكانوا يقولون (لا إله إلا الله محمد رسول الله) لكنهم جعلوا مسيلمة نبياً ورفعوه إلى مقام النبوة ، فكيف بمَنْ رفع رجلاً إلى مقام الألوهية ، فهو أحق بالكفر والقتال .

4️⃣ ورابعها : قصة بني المصطلق ، وهم قبيلة من العرب دخلوا الإسلام ، وبعث إليهم النبي ﷺ ساعيه يجبي زكاتهم – أي : يجمعها – ، فلم يذهب إليهم ورجع عنهم ، وقال : إنهم منعوا الزكاة ، فأنزل الله على نبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [الحجرات : ٦] الآية ، لما أزمع النبي ﷺ المسير إليهم وعزم على قتالهم ، فهو همَّ بقتال هؤلاء لامتناعهم من الزكاة ، فكيف إذا منع العبد حق الله في توحيده ، فهو أولى بالكفر والقتال من أولئك .

وقصة الوليد بن عقبة رضي الله عنه مع بني المصطلق رُويت من وجوه ضعيفة لا يثبت منها شيء ، لكن الإجماع منعقد على أن الآية نازلة فيها ، ذكره أبو موسى المديني .

💠وحقيقة الأمر أنه لما أقبل عليهم خرجوا يستقبلونه ، فلما رأى جمعهم ولم تجري به العادة ، ظن أنهم يريدون الامتناع منه ، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره بما رأى بحسب علمه ، فأُنزلت الآية لا لنسبته هو إلى الفسق ، ولكن للتنبيه على أمر أعظم من التثبت والتبينّ الذي يحتاج إليه وهو خبر الفاسق ، وهذا أحسن ما قيل في الآية جمعاً بين ما ورد من الإجماع وبين ما هو مقرر من عدالة الصحابة رضي الله عنهم .

👈 🔷 فهذه الأدلة الأربعة تدل على أن الفهم الصحيح لعصمة الدم والمال لمن قال لا إله إلا الله ، هي لمن التزم بحقوقها ، وأما من بدر منه شيء يناقض حقوقها فهذا يستحق التكفير والقتال .

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى : وَهِيَ ما ذَكَرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بآدَمَ ، ثُمَّ بِنُوحٍ ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ بمُوسى ، ثُمَّ بِعِيسَى عليهم السلام ، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالُوا : فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا .

فَالجوَابُ أَنْ تَقُولَ : سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ أَعْدَائِه! فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالمخْلُوقِ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لاَ نُنْكِرُهَا ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] ، وَكَمَا يَسْتَغِيثُ الإِنْسَانُ بِأَصْحَابِهِ فِي الحَرْبِ وَغَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا المخْلُوقُ ، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ العِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، أَوْ فِي غَيْبَتِهِم فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا المخْلُوقُ ، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلاَّ اللهُ تَعَالَى .

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ ؛ فَالاسْتِغَاثَةُ بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَّاسَ حَتَّى يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ كَرْبِ المَوْقِفِ ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ وَيَسْمَعُ كَلاَمَكَ ، تَقُولُ لَهُ : ادْعُ اللهَ لِي ، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ فِي حَيَاتِهِ ؛ فِي الاسْتِسْقَاءِ وَغَيْرِهِ ، وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ فَحَاشَا وَكَلاَّ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِكَ عِنْدَ قَبْرِهِ ، بَلْ أَنْكَرَ السَّلَفُ رحمهم الله عَلَى مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ صلى الله عليه وسلم فَكَيْفَ دُعَاؤُهُ نَفْسِهِ؟!

📌ذكر المصنف رحمه الله هنا شُبهة من شُبَه المشبهين في توحيد العبادة ، 👈أنهم يستدلون بحديث الشفاعة الطويل ، وفيه أن الناس يستغيثون يوم القيامة بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فيشفع لهم عند ربه ، فيزعم هؤلاء أن هذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً ، وهذا من أبلغ الجهل ، فإن الناس يستغيثون حينئذٍ بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ على ما سُئل فيه ، وما كان كذلك فليس من الاستغاثة الشركية .

🔻لكن الاستغاثة الشركية من استغاث بميتٍ ، أو بحيٍّ غائبٍ ، أو بحيٍّ عاجزٍ ، فإذا فقدت الحياة والحضور والقدرة كانت هذه من الاستغاثة الشركية .

🔶فليس ما ذكروه من باب الاستغاثة الشركية التي يفعلونها ، ولكن هذه استغاثةٌ جائزةٌ .

وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَى وَهِيَ : قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَـمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ فَاعْتَرَضَ لَهُ جِبْرَائِيلُ فِي الهَوَاءِ فَقَالَ : أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا .
قَالُوا : فَلَو كَانَتِ الاستِغَاثَةُ بِجَبْرَائِيلَ شِرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام؟

فَالجَوَابُ : أَنَّ هذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبْهَةِ الأُولَى ، فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيهِ السَّلَامُ عَرَضَ عَلَيهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم :5] ، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ وَالجِبَالِ ، وَيُلْقِيهَا فِي المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ عَنْهُمْ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ لَفَعَلَ ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَنْ يَرْفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ لَفَعَلَ .

وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ، يَرَى رَجُلاً مُحْتَاجًا ؛ فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يُقْرِضَهُ ، أَوْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ ، فَيَأْبَى ذَلِكَ الرَّجُلُ المُحْتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ ، وَيَصْبِرُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ مِنْهُ لَا مِنَّةَ فِيهِ لِأَحَدٍ .

فَأَيْنَ هَذَا مِنِ اسْتِغَاثَةِ العِبَادَةِ وَالشِّرْكِ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!

📌ختم المصنف رحمه الله بذْكر شبهة من مقالات المبطلين في توحيد العبادة وهي استدلالهم بقصة جبريل مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما أُلقي في النار ، فاعترض له جبريل فقال : ألك حاجة؟ فقال إبراهيم : أما إليك فلا ، فيزعمون أنه لو كان ذلك شركاً لما عرض جبريل على إبراهيم اغاثته .

✅ودفع هذه الشبهة من جهتين :

1️⃣أحدهما : من جهة الرواية ، أن هذا لا يروى من وجه صحيح ، وغاية ما فيه أشياء مأثورة عن بعض السلف لا يثبت منها شيء .

2️⃣الأخرى : من جهة الدراية ، وهي أن قول جبريل عليه الصلاة والسلام لإبراهيم : ألك حاجة؟ ، عرض للإغاثة من حيٍّ حاضرٍ قادرٍ وما كان كذلك فلا تكون الاستغاثة فيه شركية ، فمن استغاث بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ على الإغاثة فيما سئل فيه فاستغاثته جائزة .

🔶واستغاثة هؤلاء التي يدعون أنها جائزة ؛ يستغيثون فيها بأموات غائبين غير حاضرين ، لا قدرةَ لهم على الإغاثة في ما هم فيه .

☑️والصحيح أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لما ألقي بالنار : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ثبت هذا عند البخاري من حديث ابن عباس ، وفيه بيان كمال توحيده في تعلقه بالله وحده وإعراضه عما سواه .

وَلنَخْتِمِ الكتَابَ بِذِكْرِ مَسْأَلةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ بِمَا تَقَدَّمَ ، وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلامَ لِعِظَمِ شَأْنِها ، ولِكَثْرَةِ الغَلَطِ فيها فَنَقُولُ : لا خلافَ أَنَّ التَّوْحيدَ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ بالقَلْبِ وَاللِّسَانِ والعَمَلِ ، فَإِنِ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا لَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ مُسْلِمًا ، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ وَأَمْثَالِهِمَا .

وَهَذَا يَغْلَطُ فيه كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ : هَذَا حَقٌّ ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ الحَقُّ ، وَلَكِنْ لا نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ ، وَلاَ يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إلاَّ مَنْ وَافَقَهُم ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ .

وَلَمْ يَعْرِفِ المِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الكُفْرِ يَعْرِفُونَ الحَقَّ ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إلاَّ لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَارِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [التوبة : ٩] ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلاً ظَاهِرًا ، وَهُوَ لاَ يَفْهَمُ وَلا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الكَافِرِ الخَالِصِ ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ ، تَبِينُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ .

تَرَى مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ وَيَتْرُكُ العَمَلَ بِهِ ؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دُنْيَاهُ ، أَوْ جَاهِهِ ، أَوْ مُلْكِهِ ، أَوْ مُدَارَاةً .

وَتَرَى مَنْ يَعْمَلُ بِهِ ظَاهِرًا لا بَاطِنًا ، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ إِذَا هُوَ لاَ يَعْرِفُهُ .

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى :

أُولَاهُمَا : مَا تَقَدَّمَ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٦] .

فَإِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوُا الرُّومَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ عَلَى وَجْهِ المَزْحِ وَاللَّعِبِ ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْكُفْرِ ، أَوْ يَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ ، أَوْ جَاهٍ ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا .

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا ﴾ [النحل : ١٠٦] .

فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ؛ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ ، سَوَاءً فَعَلَهُ خَوْفًا ، أَوْ طَمَعًا ، أَوْ مُدَارَاةً لِأَحَدٍ ، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ عَشِيرَتِهِ أَوْ مَالِهِ ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ المَزْحِ ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ إِلَّا المُكْرَهُ .

وَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَى هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ :

الأُولَى : قَوْلُهُ : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، فَلَمْ يَسْتَثْنِ اللهُ إِلَّا المُكْرَهَ ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى العَمَلِ أَوِ الكَلَامِ ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا .

الثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ﴾ [النحل : ١٠٧] .

فَصَرَّحَ أَنَّ هَذَا الكُفْرَ وَالعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ ، وَالجَهْلِ ، وَالبُغْضِ لِلدِّينِ ، أَوْ مَحَبَّةِ الكُفْرِ ؛ وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا فَآثَرَهُ عَلَى الدِّينِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

📌ختم المصنف رحمه الله كتابه بمسألة أشار إليها بالتعظيم فقال : (وَلِنَخْتِمِ الكِتَابَ بِذِكْرِ مَسْأَلَةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّة تُفْهَمُ بِمَا تَقَدَّمَ ، وَلَكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الكَلامَ لِعِظَمِ شَأْنِها ، وَلِكَثْرَةِ الغَلَطِ فيها)

💎 ثم بينّ أن التوحيد يتعلق بثلاثة أجزاء : هي : القلب ، واللسان ، والعمل .

✅ فلا يكون الرجل مُوَحِّداً حتى يجتمع قلبه ولسانه وعمله على الإقرار بالتوحيد ، أما مَنْ أقرَّ بقلبه فقط أو اعترف بلسانه فقط ، أو كان ذلك في ظاهر عمله دون باطنه فإنه لا يثبت له التوحيد .

💠 فالناس منقسمون في ذلك إلى ثلاثة أقسام :

1️⃣ أولها : أن يكون العبد مُقِرّاً بالتوحيد ظاهراً وباطناً ، وهذه حال المُوَحِّد .

2️⃣ وثانيها : أن يكون العبد مُقِرّاً بالتوحيد باطناً ولكنه لا يلتزم بظاهره ، وهذه حال الكافر .

3️⃣ وثالثها : مَنْ يكون قلبه منطوياً على الكفر ، وأما ظاهره فإنه يعمل بالتوحيد ، وهذه حال المنافق .

🔷 وهذه المسألة مبنية على ما يعتقده أهل السُّنة والجماعة من أن الإيمان دائرٌ على القلب ، واللسان ، والجوارح ، فلابد من تعلّق التوحيد بها .

📌ثم حرَّض المصنف رحمه الله على فهْم آيتين من كتاب الله تعينان على كمال إدراك المقصود المتقدم .

1️⃣💎فالآية الأولى : قوله : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ التي نزلت في كفر قوم تكلموا بكلمة في غزوة تبوك ، فإذا كان الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به ، يسوّغ ذلك لنفسه فحاله أشد من حال من تكلم بالكفر مع النبي ﷺ فالعمل بالكفر أشد من الكلام به .

2️⃣💎والآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ الآية ، فلم يعذر الله سبحانه وتعالى أحداً في عدم الموافقة على التوحيد في العمل الظاهر إلا المُكره . 📎والإكراه : هو إرغام العبد على ما لا يريد .

🔷 ولِلْمُكْرَه حالان :

🔶أحدهما : موافقته بالإكراه مع اطمئنان قلبه بالإيمان ، وهذا لا شيء عليه ، لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، فعذره الله .

🔶والآخرى : الموافقة على الكفر بالإكراه مع اطمئنان قلبه به ، فيطمئن قلبه بالكفر ، وهذا خروج من الإسلام .

💡ثم نبَّه المصنف إلى قاعدة عظيمة تتعلق بالإكراه فقال : (وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لَا يُكْرَهُ إِلَّا عَلَى العَمَلِ أَوِ الكَلَامِ ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ القَلْبِ فَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَيْهَا) .

✅ فالمُكرَه عليه له موردان :

1️⃣ أحدهما : أن يكون في الأقوال أوالأعمال ، وهذه تُقبَل دعوى الإكراه فيها ، بأن يكون أكره على قول أو عمل .

2️⃣ والآخر : أن يكون الإكراه في عقيدة القلب ، وهذه لا تقبل دعواها من صاحبها ، فإنه لا قدرة لأحد على عقيدة القلب ، فالذي يزعم أنه أُكره على شيء يتعلق بعقيدة قلبه فهو كاذب في دعواه ، وتجري عليه أحكام الكفر .

وهذا آخر البيان على هذا الكتاب .

والحمد لله أولاً وآخراً .